بحوث
فى الفرق الإسلامية
٢

الخـــــــــــوارج

بين الأمس واليوم

د. محمد الأنور حامد عيسى

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الغلاف من تصميم الفنان سليمان عبد المحسن

تذكَّر وذكِّر

يقول سبحانه فى محكم التنزيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ۞ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ۞ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ۞ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ۞ ﴾

(آل عمران ١٠٣ - ١٠٥)

ويقول صلى الله عليه وسلم :

(لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا "ثلاثا" بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه)

رواه مسلم عن أبى هريرة - باب البر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

نحمد الله سبحانه وتعالى ونستعين به عز وجل ، ونستهديه ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسأله العفو عما وقع منا من تقصير فى حق ديننا . ونشهد أن لا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية في الذات والصفات والأفعال ، والمتصف بكل كمال والمنزه عن أى نقص ، بيده الملك وهو على كل شئ قدير وإليه سبحانه المصير . ونشهد أن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين ، قام بتبليغ الرسالة وتأدية الأمانة والنصح للأمة ؛ تلك التى اتحدت وقويت وسعدت حينما التزمت فى حياتها بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ وتفرقت وضعفت وشقيت وهان أمرها بين الأمم حينما ابتعدت عن النبعين الطاهرين

وبعد

فقد تناولنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب الحديث عن الشيعة تسمية ونشأة وفرقا مثل : الإمامية الإثنا عشرية ، والزيدية ، والإسماعيلية مع فروعها البهرة والقرامطة والدروز ثم النصيرية . واقتضى التناول التعريف بعقائد كل فرقة مع مناقشة موجزة . وختمنا الكتاب ببحث مبسط عن الجهمية ومعتقداتها مع وقفة نقدية .

ونحاول فى هذا الجزء (الثانى) إعطاء إجابات موجزة عن الأسئلة التالية : ماذا تعنى كلمة الخوارج ؟ وهل القوى المعارضة خوارج ؟ وما الصلة بين خوارج الأمس واليوم إن وجدوا ؟ وهل هناك عوامل ساعدت على نشأة الخوارج الجدد ؟ وما هو الدور المؤمل من أولى الأمر للتصحيح ؟ وما أهم سمات الخوارج ؟ ومتى كانت النشأة ؟ وما ألقاب خوارج الأمس وأهم فرقهم ؟

وعن فرقهم يعرف هذا الجزء بالأزارقة نشأة وانتماء وأهم الأفكار والمعتقدات مع مناقشة لبعض الدعاوى التى هى أمر مشترك بين خوارج الأمس واليوم . كما يعرف بفرقة الأباضية وعقائدها مع بيان معنى الخوارج عندها ، وإجابة على هل الأباضية من الخوارج ثم مناقشة لبعض أفكار الأباضية . ونختم الجزء الثانى بالتعريف بفرقة النجدات نشأة وانتماء وأفكارا مع مناقشة لبعض أقوالهم .

ونأمل أن يتناول بعض أبنائنا فى الدراسات العليا فرقة الصفرية - لما لها من أهمية فى بلاد المغرب العربى - بالدراسة المقارنة .

هذا وقد بدأنا الجزء الثانى بمدخل هام ، تحدثنا فيه عن الاختلاف والتفرق - الأسباب والنتائج - وبينا متى يكون مقبولا ومتى يكون مرفوضا ولماذا ؟ وذكرنا بعض الصور لاختلافات غير مؤثرة ، وأخرى كان من نتائجها نشأة الفرق مثل الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة .

وبعيدا عن عصر المبعث بثلاثة قرون كانت الاختلافات العلمية الجادة بين الأشعرى والماتريدى ، ومن بعدهما الأتباع ، وكان النتاج تراثا عقديا هاما هو فى حاجة ماسة للتنقية والفهم الواعى للاستفادة منه وإفادة الأجيال ، لا للاجترار المزرى المضيع للوقت والواضع للعقول فى قوالب جامدة والمعرقل لحركة الحياة .

ومع الختام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدى الأمة الإسلامية لما يحبه ويرضاه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

مدينة نصر
جمادى الأولى ١٤١٨هـ
سبتمبر ١٩٩٧م

مدخل عام

الاختلافات ونشأة الفرق

الاختلاف فى الرأى والتفرق فى التوجه من أهم السمات التى يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات ، وهما من الأسباب الرئيسية فى نشأة الفرق .

والاختلاف والتفرق هما نتاج تفاوت العقول بين الأفراد فى القوة والضعف ، واختلاف الطباع فى الحدة والخمول والأهواء والرغبات ، والآمال والثقافات ، والحس المرهف أو البلادة ، وسيطرة القوة الروحية على البدن أو تغلب المادة على الروح . وانصياع الإنسان لما يسميه الإمام الغزالى بالغلطات أو الأخطاء المعرفية ، يؤدى للكثير من الخلط والتضارب والتفرق .

ومن هذه الأخطاء التعميم ؛ حيث يحسب الإنسان أن ما يوافق غرضه فهو موافق لأغراض الجميع ؛ وما يخالف غرضه فهو مخالف لأغراض الجميع . فشغفه بنفسه ، وحبه لذاته يدفعه إلى إلغاء الآخرين ، أو على الأقل إدراجهم فى الحب والكراهية ، والموافقة والمخالفة لما يحبه ويكرهه ويوافق غرضه هو ويخالفه . وهذا التعميم المرذول لا يعتمد على أى أساس سوى الأنانية وتضخيم الإنسان لذاته .

ومنها أن ما يوافق الغرض فى جل الأحوال لا يكون أمرا حسنا ؛ إذ أن هناك حالات نادرة يكون الحسن فيها قبيحا والقبيح حسنا . فالصدق حسن والكذب قبيح ، إلا أن

الأمر يختلف تماما مع الأعداء ، فالغفلة عـــن الأحـــوال النـــادرة وقصور الاستقراء يوقعان فى الخطأ الـــذى بـــدوره يـــؤدى إلـــى الاختـــلاف .

وسبق الوهـــم أيضـــا ربمـــا يـــؤدى إلـــى التســـرع فـــى الرفض أو اتخاذ الموقف المناقض ، فمـــن لدغتـــه حيـــة ورآهـــا متصورة فى صورة حبل ملون فإنـــه إذا رأى بعـــد ذلـــك حبـــلا عاديا فإنه يصاب بالفزع قبل أن يتبيـــن الحقيقـــة أو يفكـــر فـــى أمره . يقول الغزالى "وهذا مع وضوحـــه للعقـــل فـــلا ينبغـــى أن يغفل عنه لأن إقدام الخلق وإحجامـــهم فـــى أقوالـــهم وعقـــائدهم وأفعالهم تابع لمثـــل هـــذه الأوهـــام."[1] وخضـــوع الإنســـان لمـــا يسميه فرانسيس بيكون بأوهـــام العقـــل ، وهـــى وهـــم الجنـــس والكهف والسوق والمسرح[2]. وكـــذا الاقـــتراب أو الابتعـــاد مـــن المعتقد الصحيح ، ومحاولة السيطرة على البيئـــة وتـــأكيد الـــذات أو الذوبان فيها والخضوع لمتطلباتـــها .

الاختلاف المقبـــول

والاختلاف مقبول -- طالما ابتعـــد عـــن التصـــارع والتعصـــب الممقوت والتكفير والتطاحن والتقاتل -- لأنه يكـــون ســـببا فـــى استمرارية الحياة ووضوح الرؤيـــة أمـــام الأفـــراد والجماعـــات والوصول للحقائق . ويكون أكثر قبولا إذا كـــان فـــى الفـــروع ؛ أى فى الفقه ، لأن النتيجـــة ســـتكون التوســـيع بالاجتـــهاد علـــى

---

[1] الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٤٣ ، تحقيق مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندى . وانظر قضايا عقائدية ص ١٧ ت محمد الأنور

[2] انظر الأوهام المشار إليها فى كتابنا نظرات فى المنطق الحديث ومناهج البحث .

الأفراد والجماعات ، ودفعهم إلى التحرك فى دائرة التيسير لا التعسير والتبشير لا التنفير .

والإسلام واضح فى دعوته بأن المجتهد المصيب له أجران والمجتهد المخطئ له أجر واحد ، وهذا معناه أن الكل مأجور ، لأنه يبين ما أحله الله ، ويوضح ما حرمه الله ، ويعبد الطريق أمام خلق الله ، ولا ييئس من رحمته سبحانه القائل ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ الزمر ، ٥٣ يقول البغدادى "إن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين أحدهما : قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم فى فروع الفقه ، وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون . والثانى قول من يرى فى كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه وتخطئة الباقين من غير تضليل منه للمخطئ فيه."[1]

الاختلاف المرفوض[2]

أما إذا كان الاختلاف فى ركن من أركان الإيمان – الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله – بأن اختلفوا فى وجود الله عز وجل وتفرده بالوحدانية فى الذات والصفات والأفعال ، أو قالوا بالتثنية أو التثليث ، أو بما يوصل لهذا القول ، أو قالوا

---

[1] الفرق بين الفرق ، ص ٦ ، دار الآفاق الجديدة ، ط ١٩٧٣

[2] ومن أهم سماته فساد النية ، وظلمة القلب ، وعمى العقل ، وإرادة البغى والحسد والإفساد بين الناس . ومنشاه جهل المختلفين بالأمر المتنازع فيه وعدم معرفتهم بالدليل القاطع للنزاع .

بحلوله أو اتحاده عــز وجــل بالمخلوقــات أو بأنــه جســم ، أو قالوا بشبهه لمخلوقاته أو قــالوا آو عملــوا بمــا ينــاقض تفــرده باستحقاق العبادة أو . . أو الــخ ؛
أو اختلفوا فى وجود الملائكة وكونهم مــن نــور لا يعصــون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمــرون ، أو قــالوا بــأن جــبريل كــان مرسلا من الله لعليّ رضى الله عن بالرســالة إلا أنــه أخطــأ أو تعمد الخطأ وذهب إلى محمد صلى الله عليــه وســلم ؛
أو اختلفوا فى الكتب المنزلة على أنبيائه علــى وجــه العمــوم ، أو الكتب المعلومة من ديننا علــى وجــه الخصــوص كصحــف ابراهيم وتوراة موسى وزبــور داود وإنجيــل عيســى والقــرآن الخاتم المنزل علــى محمــد صلــى الله عليــه وســلم والمكمــل والمتمم لكلمة السماء ، والناسخ لبعــض مــا ســبق والمحفــوظ بحفظ الله إلى أن تقوم الساعة ؛ فهو اختــلاف ممقــوت .

ومن الاختلاف الممقــوت القــول بــأن للقــرآن ظــاهرا وباطنا ، وأن المــراد هــو البــاطن لا الظــاهر . وكــذا مــن الاختلاف الممقوت ما تردد بأن محمــدا صلــى الله عليــه وســلم ليس خاتم الأنبياء ، أو بأنه مرسل للعرب فقــط . وكــذا وصــف الأنبياء بصفات لا تتفق والعصمة وتدفــع إلــى التنفــير منــهم ، أو المبالغة فى تعظيمــهم لدرجــة تخرجــهم مــن الإنســية إلــى الإلهية ، أو إدخال فيهم من ليــس منــهم .

ومن الاختلافات القول بالتناسخ أو بالرجعــة قبــل البعــث الأخروى . وكذا القول فى القدر بأمور تتنــافى مــع عظمــة الله وقدرته وإرادته وعلمــه .

فالمختلفون فــى أى أســاس مــن الأســس الســابقة إذا أصــروا علــى عنــادهم واســتكبارهم وتعاليــهم وتفســيراتهم الخاطئة فإنهم يبتعدون عن دائرة الإيمــان ويدخلــون فــى دائــرة

نعوذ بالله منها . ونفس المصير يهوى إليه من أنكر وجحد وعاند واستكبر على أى أساس من أسس الإسلام – شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع وكذا من فسر أى أساس من هذه الأسس بتفسيرات تخرجه عن حقيقته المرادة . فمن قال بأن الشهادتين معناهما عبادة الحاكم ، وأن الحاكم بأمر الله الفاطمى هو الله أو حل فيه الله أو فسر الصلاة و الزكاة والحج بتفسيرات تتنافى كلية مع ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، بأن قال إن الصلاة والزكاة لهما باطن وظاهر ، أما الباطن فهو ولاية محمد وعلى ، وأما الظاهر فهى تلك الحركات والسكنات ودفع المال للفقراء ، وهذا ليس مراد المشرع "فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلى ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة"[1] ، والصوم لا يعنى الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ، وإنما معناه الحقيقى "هو الكتمان أى كتمان الأئمة فى وقت استتارهم خوفا من الظالمين"[2] ، أو هو الامتناع عن مباشرة النساء طيلة رمضان ، وأن الحج يعنى توحيد الحاكم بأمر الله ، أما الحج بالصورة التى يقوم بها المسلمون فهو عبادة للأصنام أقول بلا تردد إن من يقول بمثل هذه الأمور يدفع نفسه دفعا إلى الابتعاد عن راية الإسلام والاقتراب بلا هوادة من دائرة الكفر .

ما ذكرناه هو بعض الاختلافات التى تؤثر فى المعتقد وقد قال ببعضها فرق تنتسب للإسلام مثل السبأية والخطابية

[1] كشف أسرار الباطنية ص ٢٠٣ ، تحقيق سيل أذكار الإحسان ١٩٨٢
[2] نفس المرجع السابق

والبيانية والغرابية والإسماعيلية والدروز والنصيرية والمجسمة والمشبهة .

اختلافات فى نهاية عصر المبعث

وقد حدثت اختلافات فى نهاية عصر المبعث لا تؤثر فى المعتقد ولم تكن سببا فى التفرق منها على سبيل المثال :

١. حينما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وانتشر الخبر بين الناس بأن محمدا قد مات ، دفع الحب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عدم التصديق ، ورفع سيفه قائلا "من قال إن محمدا قد مات قتلته بسيفى هذا" وحدث هرج ، قوم يصدقون وقوم ينكرون . وهدّأ الصديق من روع ابن الخطاب ، وراح يردد بين الناس "من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد إله محمد فإن إله محمد لم يمت ولن يموت" ، وأخذ يردد قول الله تعالى ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين﴾ آل عمران ، ١٤٤. وأفاق القوم من هول المفاجأة ، واغرورقت عينا عمر بن الخطاب بالدموع وهو يسلم لقدر الله ويقول "كأنى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر"[١] .

٢. وحصل خلاف حول موضع دفنه صلى الله عليه وسلم ، فأهل مكة يرون أن ثرى مكة أولى به صلى الله عليه وسلم

---

[١] راجع السيرة النبوية لابن هشام ،ج ٤ ، ص ٢٢٤ . يقول أبو هريرة : قال عمر "والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها عقلت – أى دهشت – حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات"

لأنه ابنها ، ولد فيها وعـاش طفولتـه وصبـاه وشـبابه إلـى أن بلغ الأربعين ، وثلاثة عشر عاما بعـد المبعـث علـى أرضـها وفيها أهله . بينما يـرى الأنصـار أن دفنـه فـى دار هجرتـه ونصرته أولى . وذهب فريق ثالث إلـى ضـرورة دفنـه ببيـت المقدس ، لأن منـه كـان عروجـه إلـى السـماء وفيـه قبـور الأنبياء . واستقر الرأى على دفنـه فـى المدينـة تنفيـذا لقولـه صلى الله عليه وسلم (الأنبياء يدفنون حيـث يموتـون)[1] .

٣. واختلفوا فى أمر فدك ، والتوارث عن النبـى . وقـد دُفعـت فاطمة الزهراء عن طلبـها بـالحديث المشـهور عـن الرسـول صلى الله عليه وسـلم (نحـن معاشـر الأنبيـاء لا نـورث مـا تركناه صدقـة)[2] .

اختلافات مؤثـرة

ثم هناك اختلافات ربما أثـرت فـى المعتقـد وأدت إلـى تفريق المسلمين ، وبخاصة فـى المنـهج ، منـها علـى سـبيل المثـال

[1] ذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ بلفظ (ما مات نبى إلا دفن حيث يقبض) عن أبى بكر .

[2] ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده ، ج ٣ ، ص ٤ بلفظ (إنا لا نورث ما تركناه صدقة) عن مالك بن أنس . راجع الخلافات المذكورة وغيرها فى الفرق بين الفرق ص ١٢ ، والملل والنحل للشهرستانى ج ١ ، ص ٢١ ، مؤسسة الحلبى ، والعواصم من القواصم لابن العربى ص ٦٠-٦٢

وفدك قرية بالمدينة المنورة كان بعض اليهود يسكنونـها ، ولما انـهزم يهود خيبر خاف يهود فدك فسلموا نصف القرية للرسول دون قتال ، فصارت خاصة له ينفق منها على نفسه أهله وعلى المحتاجين من بنى هاشم ؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب . وحسبت الزهراء بعد وفاة أبيها آن لها حقا فى فدك ولهذا طالبت بحقها . راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٥

١. اختلافهم فى أمر الإمامة ، وهو اختلاف كاد يمزق وحدة المسلمين ؛ حيث طالب الأنصار بأن تكون الإمارة مناصفة مع المهاجرين ، وظهر من يطالب بأن يكون الأمير من أهل البيت ، وأولى أهل البيت على بن أبى طالب ، وقالت قريش إن الإمامة لا تكون إلا فى قريش . وأذعنت الأنصار لهذا القول لما روى لهم قول النبى عليه السلام (الأئمة من قريش)[١] ، ومد عمر بن الخطاب يده مبايعا لأبى بكر الصديق ، وراح الناس يبايعونه ، وانتهى الخلاف الذى حدث فى سقيفة بنى ساعدة[٢] .

إلا أنه لم ينته كلية بخصوص الإمامة ، بل وجد من يقول إن الإمامة ركن من أركان الدين مثل الصلاة ، وأنها تكون بالنص من الرسول ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه وولده من بعده ، وأن الصديق وعمر وعثمان اغتصبوا حق على فى الإمامة . وغالوا كثيرا حينما قالوا بعصمة الأئمة ورجعتهم ومعرفتهم للغيب . وقد ناقشنا أقوال الشيعة هذه فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

ووجد من يرفض القول بالنص على الإمام ، كما يرفض القول بعصمته ومعرفته للغيب وبتوارث الإمامة ، وهم أهل السنة .

ووجد من يضيف للرفض السابق رفضا آخر يحصر الإمامة فى قريش، ويرى أنها تكون فى قريش وفى غيرهم كما تكون بالانتخاب الحر ، والقائلون بهذا هم الخوارج .

---

[١] ذكره مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة بلفظ (كلهم من قريش)
[٢] راجع أحداث سقيفة بنى ساعدة فى السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٥

ومن جهة أخرى حدث تآمر على خليفة المسلمين الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه بدعوى أمور ارتكبها – سنوضحها فيما بعد فى هذا الجزء – وانتهى التآمر باستشهاده وبويع على خليفة للمسلمين ، لكن قوى خفية معارضة ألبت بعض الناس عليه ، بدعوى فارغة وهى ضرورة القبض على قتلة عثمان والثأر منهم . وتداعت الأحداث لتأتى بموقعة الجمل وموقعة أسوأ منها فى صفين ومع استشهاد الآلاف من المسلمين كانت نتيجة أخرى وهى انقسام حاد بين الباقين ؛ أتباع لعلى يسمون بالشيعة ، وأتباع لمعاوية ، ورافضون لعلى ومعاوية قائلون بكفرهما وكفر طلحة والزبير وعمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى والسيدة عائشة ، وكثير من الصحابة ، وهؤلاء هم الخوارج موضوع حديثنا بالتفصيل إن شاء الله .

ووجدت طائفة تتجنب المحاربين ولا تكفر أحدا ، وترجئ أمر الجميع إلى الله سبحانه وتعالى فى الآخرة ، وهم المرجئة .

٢. ثم "حدث فى زمن المتأخرين من الصحابة . . . خلاف القدرية فى القدر والاستطاعة من معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد بن درهم . وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة[١] وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم . . . . ثم حدث فى أيام الحسن البصرى خلاف واصل بن عطاء فى القدر وفى المنزلة بين المنزلتين ، وانضم إليه عمر بن عبيد فى بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه ، فاعتزلاه ، فقيل لهما

[١] من أمثال عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبى هريرة وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى وعقبة بن عامر وغيرهم .

ولأتباعهما معتزلة ، لاعتزالـــهم قـــول الأمـــة فـــى دعواهمـــا أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمـــن ولا كـــافر "[1] .

وتبنى المعتزلة فيما بعـــد فكـــرة نفـــى الصفـــات عـــن الله تعالى والقول بعدم رؤيته سبحانه وتعالى فـــى الدنيـــا والآخـــرة ، والقول بخلق القـــرآن ، والقـــول بالتحســـين والتقبيـــح العقليـــن وأن كل ما حسنه العقل فقد أوجبه والقـــول بـــالصلاح والأصلـــح وبوجوب كل ما فيه مصلحة للعبـــاد علـــى الله ســـبحانه وتعـــالى مثل التمكين والإقدار واللطف والأعـــواض . وقـــد غـــالوا فـــى القول بالقدر وأن الإنسان يخلق أفعالـــه الاختياريـــة كمـــا غـــالوا فى تقديم العقل على النص وفى التأويل . وعلـــى وجـــه العمـــوم فلهم أصولهم الخمسة التى اجتمعـــوا عليـــها ، وهـــى : التوحيـــد[2] والعدل[3] والوعـــد والوعيد[4] والمنزلـــة بيـــن المـــنزلتين والأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولـــهم منهجـــهم والـــذى يعتمـــد فى الدرجة الأولى على العقـــل ، أمـــا النقـــل فـــإن كـــان قرآنـــا ووافق ما جاء به العقل فنعم ، وإلا أولـــوه بمـــا يوافـــق العقـــل ، وإن كان حديثا شريفا وعجـــزوا عـــن تأويلـــه فإنـــهم يحكمـــون بضعفـــه .

---

[1] الفرق بين الفرق للبغدادى ، ص ١٤ ، الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٣

[2] ويعنون به أن أخص وصف لله تعالى هو القدم ، فلا قديم سوى ذاته . فهو عالم بذاتـــه قادر بذاته ، مريد بذاته . . الخ ، وليست له صفات قديمة ؛ لأن وصفه بصفات قديمة فى رأيهم يؤدى إلى تعدد القدماء

[3] والعدل فى رأيهم لا يتحقق إلا بأن يكون الإنسان خالقا لأفعاله من خير أو شر ، ولهذا يكون حسابه وتكون مسئوليته أمام الله . أما إذا لم يكن خالقا لأفعاله الاختيارية فمن الظلم حسابه ومن العدل ألا يفعل الله إلا ما فيه صلاح للعباد ، فإن أصابـــهم بمكروه فيجب عليه من ناحية الحكمة أن يعوضهم .

[4] ويعنون بالوعد والوعيد استحقاق المؤمن وجوبا للثواب واستحقاق العاصى وجوبا للعقاب [illegible] كل ما يتصل بـــهذه الأصول ، راجع شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد [illegible] المعتزلي .

٣. وفى الكوفة التقى جهم بن صفوان بالجعد بن درهم وأخذ عنه القول بخلق القرآن ونفى الصفات القديمة عن ذات الله سبحانه وتعالى ، وراح يردد بأن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن ، وأن الإيمان هو معرفة بالله تعالى فقط ، فمن عرفه فهو مؤمن ومن لم يعرفه فهو كافر ، ومن "أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد فهو مؤمن"[1]

وكرد فعل معاكس لما يقول به المعتزلة بأن الإنسان خالق لأفعاله الاختيارية قال جهم والجهمية بأن الإنسان مجبور على أفعاله الاختيارية ، وتنسب إليه الأفعال مجازا ، وما الإنسان فى الحقيقة إلا كريشة معلقة فى الهواء تذروها الرياح كيف شاءت .

الأشاعرة والماتريدية وبعض الاختلافات

وبعيدا عن عصر المبعث بثلاثة قرون ونيف وجد أبوالحسن الأشعرى فى البصرة ، وأبو منصور الماتريدى في بلاد ما وراء النهر ، واتفقا وأتباعهما فى كثير من الأقوال مع ما يقوله السلف ، وبخاصة قدم الذات العلية واتصافه تعالى بكل كمال يليق بذاته وتنزهه عن أى نقص ، وجواز رؤية الله تعالى فى الدنيا ، وتحقق الرؤية للمؤمنين فى الآخرة . ومع الاتفاق حدث اختلاف فيما بينهما فى أمور من أهمها القول بأن صفات الأفعال كالتخليق والترزيق والإعطاء والمنع صفات حادثة وهذا قول الأشاعرة .

---

[1] الملل والنحل للشهرستانى ج١ ، ص ٨٨

بينما يذهب الماتريدية إلى أن صفات الذات وصفات الفعل قديمة ، وأن صفات الأفعال ترجع إلى صفة رئيسية وهى صفة التكوين المأخوذة من قوله سبحانه وتعالى ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ يس ، ٨٢ . يقول أبو المعين النسفى الماتريدى "إن التكوين صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى كصفة العلم والقدرة والسمع والبصر ، فكان التكوين أزليا والمكون حادثا كالقدرة كانت أزلية والمقدور حادثا ، وكذا الإرادة والمراد"[١]

وقد ترتب على قول الماتريدية بقدم صفة التكوين القول بأن صفة القدرة ليست صفة تأثير وإنما يصح لمن اتصف بها الإيجاد والإعدام ، أما التأثير الفعلى بمعنى الإيجاد والإعدام فمرجعه إلى صفة التكوين .

وقال الأشاعرة إن صفة القدرة هى التى تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها ، أى أن الإيجاد والإعدام الفعلى مرجعه إليها أما التكوين فهو من متعلقات القدرة .

واختلفا فى الإجابة على هذا السؤال : الإيمان بالله تعالى هل يوجبه العقل قبل ورود الشرع ؟ قال الماتريدية نعم ، إذا لم يبعث الله للناس رسولا لوجب عليهم بعقولهم معرفة ، وجوده واتصافه بكل كمال وتنزهه عن أى نقص ، وإفراده تعالى بالوحدانية فى الذات والصفات والأفعال ، والتصديق القلبى به . بينما قال الأشاعرة إن العقل لا يوجب إيمانا بالله قبل ورود الشرع . وهذا يعنى أن من لم تبلغه رسالة الرسل بأى وسيلة فهو معذور عند الأشاعرة لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ الإسراء – ١٥ .

---

[١] تبصرة الأدلة ج ١ ، ص ٣٣٩ ، تحقيق د . محمد الأنور

أما عند الماتريدية فلا عذر له لوجود عقلـه معـه الـذى يلزمـه بمعرفة الله والإيمـان بـه . يقـول شـيخ زاده "ذهـب جمـهور مشايخ الحنفية إلى أنه تعالى لو لم يبعث للنـاس رسـولا لوجـب عليهم بعقولـهم معرفـة وجـوده تعـالى . . . وذهـب مشـايخ الأشاعرة إلى أنه لا يجب إيمان ولا يحـرم كفـر قبـل البعـث ، فيعذر الناشئ فى شاهق الذى لم تبلغـه الدعـوة"[1] .

واختلفا فى هل كل ما يريـده الله سـبحانه وتعـالى يحبـه و رضـاه قـال الماتريديـة لا الإرادة لا تسـتلزم الرضـا والمحبة لقوله تعالى ﴿ ولا يرضى لعبـاده الكفـر﴾ الزمـر - ٧ ، وقوله ﴿ والله لا يحب الفسـاد﴾ البقـرة - ٢٠٥ . فقـد حـدث الكفر من الكافر ، والفسـاد مـن المفسـد دون أن يرضاهمـا الله ويحبهما ، ومع هذا فقد حدثا بإرادته ، فقـد أراد الكفـر للكـافر والفسـاد للمفسـد . بينمـا قـال الأشـاعرة إن الإرادة تسـتلزم الرضا والمحبة أما قوله ﴿ولا يرضـى لعبـاده الكفـر﴾ الزمـر -٧ ، أى لا يرضاه دينا لعباده المؤمنيـن وإن كـان أراده وأحبـه ورضيه للكفـار .

واختلفا فى تحديد المراد بالقضـاء والقـدر ، حيـث قـال الماتريدية بأن القدر هو تحديد الله للأشـياء أزلا بحدودهـا التـى ستوجد بها من زمان ومكان وحسـن وقبـح ونفـع وضـر . . . الخ أما القضاء فمعناه الإيجاد الفعلى للأشياء مـع زيـادة إحكـام لقوله تعالى ﴿فقضاهن سبع سماوات فـى يوميـن و أوحـى فـى كل سماء أمرها﴾ فصلت ، ١٢ أى خلقـهن علـى وجـه الإحكـام

---

[1] نظم الفرائد ، ص ٣٥ لعبد الرحيم بن على الشهير بشيخ زاده ط ١٣١٧هـ ، مصر

والإتقان[1]. بينما قال الأشاعرة إن القضاء هو "إرادة الله تعالى الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء فى أوقاتها المخصوصة"[2]

واختلفا فى تكليف الله لعباده بما لا يطاق حيث يقول الماتريدية لا يجوز لقوله تعالى ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ البقرة - ٢٨٦ ، ولأن التكليف يتصور فى أمر إذا أتى به المكلف يثاب عليه وإذا لم يأت به يعاقب لخروجه عن الأمر الإلهى . وهذا لا يكون إلا فى الأمر الذى يمكن الإتيان به ، وما لا يطاق هو مستحيل الإتيان يه . بينما قال الأشاعرة يجوز أن يكلف سبحانه عباده بما لا يطيقون لأنه سبحانه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ ولأنه سبحانه يتصرف فى ملكه ولا يقبح منه شئ . ولأننا لو قلنا يستحيل التكليف بما لا يطاق لكان لا معنى للدعاء فى قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ البقرة - ٢٨٦ . وقد طلب سبحانه وتعالى من الملائكة أن ينبئوه بأسماء الأشياء وهو يعلم أنهم لا يستطيعون ، فقد كلفهم إذا بما لا طاقة لهم عليه ، والله سبحانه منزه عن العبث ، وهذا يعنى أن التكليف بما لا يطاق جائز يقول الجوينى "تكليف ما لا يطاق تكثر صوره ، فمن صوره تكليف جمع الضدين – أى

---

[1] يقول أبو المعين النسفى إن القضاء "يذكر ويراد به الفعل . . . والمراد من قولنا الطاعات والمعاصى كلها بقضاء الله تعالى أى بخلقه وتكوينه . . . وأما القدر فهو على وجهين : أحدهما الحد الذى يخرج عليه الشئ وهو جعل كل شئ على ما هو عليه من خير أو شر ، من حسن أو قبح . والثانى بيان ما يقع عليه كل شئ من زمان ومكان ، وماله من الثواب والعقاب" تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٦٤

[2] نظم الفرائد لشيخ زادة ، ص ٢١

المحال لذاته – وإيقاع ما يخرج عن قبيل المقدورات – أى المحال فى العادة – والصحيح عندنا أن ذلك جائز"[1] .

وعن لزوم الحكمة فى أفعاله تعالى قال الماتريدية إن أفعاله سبحانه تترتب عليها الحكمة على سبيل اللزوم تفضلا لا وجوبا . بينما قال الأشاعرة إن ترتب الحكمة فى أفعاله يكون على سبيل الجواز ، فالفعل الإلهى من الجائز أن يكون لحكمة ، ومن الجائز أن يكون لا لحكمة ، لأن أفعاله سبحانه لا تعلل بالأغراض .

وعن تخلف الوعد والوعيد قال الماتريدية بامتناعهما لأن التخلف يتنافى مع عدله وحكمته ، بينما قال الأشاعرة بجواز تخلف الوعيد دون الوعد لأن الوعيد حقه والوعد حق العباد .

وعن الحسن والقبح العقليين فى الأفعال التى يمدح عليها الإنسان فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة أو يذم فى الدنيا ويعاقب فى الآخرة ، قال الماتريدية بأن العقل يدرك حسن أو قبح بعض الأشياء . بينما قال الأشاعرة إن العقل لا يدرك إلا ما كان صفة كمال أو صفة نقص ، أو كان موافقا للغرض أو مخالفا للغرض . أما فى المعنى الثالث المذكور فى أول الكلام ، فإن الذى يحسن أو يقبح هو الشرع ، فما أمر به الشرع فهو حسن وما نهى عنه الشرع فهو قبيح .

ما ذكرناه هو بعض نقاط الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية[1] ، ومع أن كل فرقة من الفرقتين انضوت تحت

---

[1] الإرشاد لإمام الحرمين الجوينى ص ٢٢٦ ، تحقيق محمد يوسف موسى ط الخانجى – ١٩٩٥

اسم وفكر ومنــــهج خــــاص ، إلا أنــــهما ابتعدتــــا عــــن التطــــرف والغلو وكانت الموضوعية هى أساس تحركــــهما ، ولــــهذا خلــــت ســــاحتهما مــــن الســــب والتطــــاول والاســــتهجان والتحقــــير والتعصب والتكفير وهــــى رذائــــل طغــــت علــــى الســــطح فــــى الماضى البعيد بين أوســــاط فــــرق عــــدة مــــن أظــــهرها الشــــيعة والخوارج . وتطفو على السطح فــــى حــــاضر الأمــــة الإســــلامية كلما سنحت الظروف بذلك . والظــــروف فــــى الغــــالب يصنعــــها الجهل والقهر واتباع الهوى ، كما تصنعها قــــوى خفيــــة معاديــــة للإسلام والمســــلمين ، وفــــى مقدمتــــها الصهيونيــــة والإمبرياليــــة العالميــــة .

تعرفنا على بعــــض صــــور الاختــــلاف والتفــــرق والتــــى كان لها دور رئيسى فى نشأة الفرق وتــــأجيج الصــــراع بينــــها . وهناك أسباب أخرى أوجدت الاختــــلاف والتفــــرق ، ومــــن ثــــم الفرق ، منها على سبيل المثــــال :

١. وجود الآيات المتشابهات ، أى التى تحتمــــل معــــانى متعــــددة حيث يقول سبحانه ﴿ هو الذى أنزل عليــــك الكتــــاب منــــه آيــــات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذيــــن فــــى قلوبــــهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغــــاء الفتنــــة وابتغــــاء تأويلــــه ومــــا يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولــــون آمنــــا بــــه كــــل من عند ربنا وما يذكر إلا أولــــو الألبــــاب﴾ آل عمــــران - ٧ . ومن أمثلة هذه الآيات قولــــه تعــــالى﴿ الرحمــــن علــــى العــــرش استوى﴾ طه -٥ ، وقوله تعالى ﴿ يد الله فــــوق أيديــــهم﴾ الفتــــح

---

[1] من أراد الاستزادة فعليه مراجعة كتاب التوحيد لأبى منصور الماتريدى وتبصرة الأدلة لأبى المعين النسفى وشرح المقاصد وشرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازانى ونظم الفرائد لشيخ زاده والروضة البهية لأبى عذبة

- ١٠ ، وقوله تعالى ﴿ولتصنع على عينى﴾ طه - ٣٩ وقوله تعالى ﴿ يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ﴾ الزمر - ٥٦ وقوله تعالى ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ الرحمن - ٢٧، وقوله تعالى ﴿ تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ المائدة - ١١٦ .

وهناك أحاديث متشابهة من أمثلتها قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[1] ، ويقول عليه الصلاة والسلام (إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن)[2] ويقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه (أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة)[3] ، وفى حديث آخر يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه يقول (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى

---

[1] ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى موسى الأشعرى ، ج ٤ ص ٣٩٥

[2] ذكره مسلم فى صحيحه عن عمرو بن العاص ك القدر باب تصريف الله تعالى القلوب ج ٢

[3] ذكره البخارى فى صحيحه ، ك التوحيد ، عن أبى هريرة ، دار إحياء الكتب العربية

لأعيذنه"[1] وعن ابن عمـــر رضـــى الله عنـــهما عـــن رســـول الله صلى الله عليه وســـلم أنـــه قـــال (إن الله يقبـــض يـــوم القيامـــة الأرض وتكون السموات بيمينه ، ثم يقول أنـــا الملـــك)[2] .

لقـــد اختلـــف المســـلمون فـــى فهمـــهم لـــهذه الآيـــات والأحاديث الشريفة ، حيث لجأ بعضهم للتـــأويل ، ولجـــأ الآخـــر للأخذ بظاهر النص ، بينما آمن البعـــض بمـــا ورد فـــى الآيـــات مع تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشـــبيه والمثـــل ووقفـــوا عنـــد قوله ﴿وما يعلم تأويلـــه إلا الله﴾ أمـــا الراســـخون فـــى العلـــم فيقولون ﴿آمنا به كل من عند ربنـــا﴾

فالمعتزلة والشيعة أخضعوا النـــص للعقـــل وبـــالغوا فـــى تأويله . والمشـــبهة ســـلموا بظـــاهر النـــص وإن أدى للتشـــبيه . يقول البغدادى "زعمت المشـــبهة أن يـــدى الله تعـــالى جارحتـــان وعضوان فيهما كفان وأصابع . . . . كمـــا زعمـــت أن اســـتواء الله تعالى على العرش بمعنى كونه مماســـا لعرشـــه مـــن فوقـــه وأبدلت الكرامية لفظ المماســـة بالملاقـــاة"[3] .

والسلف وكذا أبـــو حنيفـــة أثبتـــوا لله تعـــالى مـــا ذكـــره القرآن أو السنة من وجه ويد ونفس وعيـــن ومجـــئ واســـتواء . . . الخ مع تنزيـــه الله ســـبحانه وتعـــالى عـــن الشـــبيه والمثيـــل ﴿ليس كمثلـــه شـــئ وهـــو الســـميع البصـــير﴾ الشـــورى – ١١، وتحركوا وهم يؤمنون بقول مالك بـــن أنـــس الاســـتواء معلـــوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان بـــه واجـــب .

---

[1] ذكره البخارى فى صحيحه باب التواضع عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

[2] ذكره البخارى فى صحيحه ك التوحيد

[3] أصول الدين ص ١٠،

أما الأشاعرة فكان إيمانهم أن هذه الألفاظ مجازات عن معان ظاهره . يقول الشيخ زاده "ذهب مشايخ الحنفية إلى أن إثبات اليد والوجه وغيرهما له تعالى حق ، لكنه معلوم بأصله ومجهول بوصفه ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف . وذهب مشايخ الأشاعرة إلى أنها مجازات عن معانى ظاهرة ، فاليد مجاز عن القدرة ، والوجه مجاز عن الوجود . . . الخ"[1] .

ويذهب أبو المعين النسفى الماتريدى إلى القول بأن اللغة العربية ثرية بالمعانى ، كما أن بها الاستعارة والكناية والتشبيه . . الخ ، ولهذا "يجب صرف هذه الآيات والأخبار إلى ما يحتمل من الوجوه التى لا تناقض دلائل التوحيد والآيات المحكمة . ثم ما كان لا يحتمل سوى الظاهر قطعوا على كونه مراد الله ، وما يحتمل من ذلك تأويلات كثيرة . . لم يقطعوا على واحد منها بكونه مراد الله تعالى ، عند انعدام الدليل الموجب للعلم ، وقالوا نعلم إن المراد بعض تلك الوجوه لا الظاهر . فاليد تذكر ويراد بها القوة والقدرة والسلطة والحجة والغلبة والعز والغنى والكف والجارحة ، فيضاف إلى الله تعالى ما لا يناقض التوحيد . . . ."[2] وهكذا فى كل آية من الآيات المتشابهات أو الأحاديث المتشابهة .

٢. ويتصل بالنقطة السابقة سبب آخر ، وهو اعتماد البعض على الأحاديث الواهية ، والتجرؤ على وضع الأحاديث

---

[1] نظم الفرائد ، ص ٢٣
[2] تبصرة الأدلة ج ١ ، ص ٥٣٠ ، د . محمد الأنور

المكذوبة[1] علـــى رســـول الله صلـــى الله عليـــه وســـلم ، وبنـــاء المواقف عليـــها ، والتمســـك بـــها ، والعمـــل علـــى نشـــرها ، والادعاء بصحتها وهـــذا الأمـــر واضـــح عنـــد بعـــض الشـــيعة الذين يصرون على القول بـــأن الإمامـــة تكـــون بـــالنص ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامـــة علـــى بـــن أبـــى طالب .

كما يتصل بها رد البعـــض للأحـــاديث الشـــريفة التـــى لا تتوافق مع ميولـــه ورغباتـــه ، بدعـــوى أنـــها أحـــاديث تخـــالف العقول وهذا شأن من يقدم العقـــل علـــى النـــص ، ويبـــالغ فـــى إعطاء العقل مساحة أكثر مما يستحقها فى التعـــامل مـــع الشـــاهد والغـــائب .

ويتصل بها أيضا من يســـارع برفـــض أحـــاديث الآحـــاد مطلقا ، والاقتصار على ما يستحسنه العقـــل مـــن فـــهم للقـــرآن دون غيره ، أو يقول إن القرآن هو مصـــدر الإســـلام لا غـــير . ويتناسى بقوله هذا قول الله تعالى ﴿وما آتـــاكم الرســـول فخـــذوه وما نهاكم عنـــه فانتـــهوا﴾ ، وقـــول الرســـول صلـــى الله عليـــه وسلم فى حديث طويل (فمن رغب عن ســـنتى فليـــس منـــى)[2] . يقول الشاطبى "سمى أهل البـــدع أهـــل الأهـــواء لأنـــهم اتبعـــوا

---

[1] من هذه الأحاديث ما يرويه ابن بابويه الشيعى بإسناد إلى الصحابى الجليل عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيها الناس إأن عليا إمامكم من بعدى خليفتى عليكم – هكذا صريح اللفظ وكأن ابن بابويه بهذه الرواية المكذوبة يتهم الصحابة بالأخص الصديق وعمر و عثمان بعدم طاعة الرسول فيهما قال لعلى – وهو وصى ووزيرى وأخى وناصرى . . . من أنكره فقد أنكرنى ومن أنكرنى فقد أنكر الله عز وجل .. أيها الناس من اختار منكم على على إماما فقد اختار على نبيا فقد اختار على الله ربا) راجع على فى القرآن والسنة ج ١ ، ص ٣٢ ، محمد على أسبر ، وللرد راجع كتابنا بحوث فى الفرق ج ١ ص ٣٨ وما بعدها

[2] ذكره مسلم عن أنس ك النكاح ج ١

أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقاد إليها ، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها ، بل قدموا أهواءهم ، واعتمدوا على آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك . وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح ، ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم ، ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم أو طلبا للرياسة ، فلا بد أن يميل مع الناس بهواهم ، ويتأول عليهم فيما أرادوا"[1] .

٣. ومنها دخول بعض أهل الديانات الأخرى مثل اليهود والنصارى والمجوس في الإسلام . ومن هؤلاء من كان مخلصا في دخوله ، صادقا في إسلامه ، إلا أنه كان متقلا بمعتقدات وأفكار تتصل بدينه السابق ، وبيئته التي كان يعيش فيها ، وهذه بدورها اختلطت بالأفكار والمعتقدات الإسلامية؛ إذ أن الداخلين كانوا " يفكرون في الحقائق الإسلامية على ضوء اعتقاداتهم القديمة . وقد أثاروا بين المسلمين ما كان يثار في ديانتهم من الكلام في الجبر والاختيار ، وصفات الله تعالى ، أهي شئ غير الذات أم هي والذات شئ واحد"[2]
ومنهم من دخل الإسلام في الظاهر وأراد بدخوله ضرب المعتقد الإسلامي والتفريق بين المسلمين ، وإدخال بعض المعتقدات التي لا صلة لها بالإسلام فيه ، مثل القول بعصمة الأئمة ، والقول بالتناسخ والقول بالرجعة والحلول والاتحاد والقول بالبداء على الله تعالى .

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الاعتصام ج ٢ ، ص ١٧٦ ، دار إحياء الكتب العربية

[2] تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبي زهرة ، ج ١ ، ص ١٣

٤. ومن القيم العليا التى حرص الإسلام على بثها فى النفوس أن الناس سواسية ، وأنهم جميعا أبناء آدم وحواء ، وأنه لا فرق بين فرد وآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وأن المطلوب هو التعارف والتآلف والتسامح والتحاب والتعاون على البر والتقوى . يقول سبحانه وتعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ الحجرات – ١٣ . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبة الوداع (أيها الناس إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربى على أعجمى فضل إلا بالتقوى) .

وهو صلى الله عليه وسلم ينهى عن الخروج على الجماعة وعن العصبية القبلية حيث يقول (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية ضلالة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه)[1] . ولهذا حرص الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذهابه إلى المدينة على إزالة الصراع بين الأوس والخزرج ، كما آخى بين المهاجرين والأنصار .

---

[1] رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ، ج ٢ ، ك الإمارة ، باب الأمر بلزوم الجماعة وفى حديث آخر فى نفس الباب إضافة (ومن خرج من أمتى على أمتى يضرب برها وفاجرها فليس منى)

ومع حرص الإسلام الشديد على تثبيت الإخاء والتسامح والحب إلا أن العصبية القبلية كانت تطل برأسها مهددة بآثار وخيمة ما بين آونة وأخرى . ففي غزوة بني المصطلق كادت تحدث مقتلة شديدة بين المهاجرين والأنصار سببها أن رجلا من المهاجرين ضرب رجلا من الأنصار على ظهره "فكان بينهما قتال إلى أن صرخ يا معشر الأنصار ، وصرخ المهاجر يا معشر المهاجرين ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مالكم ولدعوة الجاهلية ؟ فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها منتنة"[1] . وفى عصبية جاهلية يأتى الرجل ليلمز الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول له : اعدل يا محمد ، فيقول له الرسول (ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ، لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)[2] .

وفى سقيفة بنى ساعدة اجتمعت الأنصار بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم "وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة . . . وحينما علموا من أبى بكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : الإمامة من قريش انقادوا للحق بعد أن كانوا يقولون للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وبعد أن جرد الحباب بن المنذر سيفه وقال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب[3] من يبارزني ؟ وبعد أن قام قيس بن سعد

---

[1] جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ، م ١٢ ، ج ٢٨ ، ص ٧٢ ، دار الحديث ١٩٨٧

[2] ذكره مسلم فى صحيحه ، ج ١ ، باب الخوارج وصفاتهم عن جابر بن عبد الله

[3] هذا مثل يضربه من يعتمد على رأيه ويصر عليه

بنصرة أبيه سعد بن عبادة"[1] . فلولا ما نقله أبو بكر عن الرسول لأدت عصبية القوم إلى رفع السيوف .

وفى بداية خلافة أبى بكر منعت بعض القبائل الزكاة بحجة أنها كانت تدفع لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد مات عليه السلام وترى أن الاستمرار فى دفعها إعلاء لشأن الصديق وعصبيتهم لا تريد ذلك .

يقول الشيخ أبو زهرة "وقد اختفت العصبية فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم بهذه البينات الواضحات واستمر اختفاؤها إلى عصر الشهيد "عثمان بن عفان" ثم انبعثت فى آخر عهده قوية لجبة عنيفة ، وكان انبعاثها له أثره فى الاختلاف بين "الأمويين" و "الهاشميين" أولا ، ثم الاختلاف بين الخوارج وغيرهم . فقد كانت القبائل التى انتشر فيها مذهب الخوارج من القبائل الربعية لا من القبائل المضرية ، والنزاع بين الربعيين والمضريين معروف فى العصر الجاهلى"[2] .

٥. وللتقليد الأعمى ، وللتمسك بالعادات وما كان عليه الآباء مطلقا وتقديس الشيوخ مع أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم دون تمحيص مع أن الشيوخ كغيرهم من البشر عرضة للسهو والخطأ والنسيان والعصمة فقط لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم من العوامل الهامة فى نشأة الافتراق . لأن كل مقلد لشيخ يتعصب له ولفكره ، وربما يدفعه التقليد إلى معاداة الغير وأقول مقلد لأننى أعلم أن من لا شيخ له فشيخه

---

[1] مقالات الإسلاميين للأشعرى ، ج ١ ، ص ١٢

[2] تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٢

الشيطان ، فالشيخ بـــالاحترام والحـــب والوعـــى يربـــى ويقـــود ويبنى أمة عالمــــة قويـــة . وبـــالتقديس لــــه والقـــول بعصمتـــه والسير وراءه بـــلا وعـــى لا ينتـــج إلا مخلوقـــات ممســـوخة لا تصلح للاستخلاف فـــى الأرض .

وإذا كانت الفرق قد نشأت فـــى المـــاضى البعيـــد ، فـــإن بعض أفكارها ما زالت تعيش بيننا ، مؤثرة فـــى وحـــدة أمتنـــا ، عاملة على إضعاف قوانا ، وتشتيت مواردنـــا ، وبـــث الخـــوف فى كل جنبات حياتنا . والأفكـــار تظـــهر تحـــت أســـماء فرقـــها القديمة تارة ، وتارة أخرى تحت تســـميات جديـــدة .

وبعـــض عوامـــل نشـــأة الفـــرق فـــى المـــاضى البعيـــد موجودة الآن بالإضافة إلـــى وجـــود عوامـــل جديـــدة تكـــرس الفرقة ، وتشعل نيران العـــداوة والكراهيـــة ، وتزلـــزل الطريـــق من تحت الأقـــدام .

من هذه العوامل الجديدة ما هـــو خـــارجى ، ويتمثـــل فـــى الحرب السرية والمعلنة التى تشـــنها قـــوى الإمبرياليـــة العالميـــة بالتعاون مع الصهيونية علـــى الإســـلام والمســـلمين . وعوامـــل داخلية ، تتمثل فى البطالة ، والجـــهل ، والأناماليـــة ، وضعـــف الوازع الدينى فى القلوب والتباهى بالخروج علـــى كـــل جميـــل من القيم ، والارتماء فى أحضان المـــادة ، وفقـــدان روح الألفـــة والتعاون والمحبـــة .

أقول ســـاعدت العوامـــل الســـابقة وغيرهـــا علـــى دفـــع البعض فى حاضرنا إلـــى الغلـــو والتطـــرف ، والظـــهور فـــى ثـــوب المنقـــذ الـــذى لا يـــرى خلاصـــا لمشـــاكل المجتمعـــات الإسلامية إلا فى تمزيـــق وحدتـــها ، ورميـــها بـــالكفر ، وقتـــل أبنائـــها ، وتدمـــير اقتصادياتـــها ، وســـلبها أمنـــها وأمانـــها .

والخلاص بهذه الصورة هو تدمير لكل مقومات إنسانية الإنسان ودفع للأمة الإسلامية إلى مهاوى التهلكة .

الخلاص بهذه الصورة يرفضه الإسلام الذى يقول ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ﴾ الأنعام - ١٥٩، ويقول ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ آل عمران - ١٠٣ ويقول ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ الأنفال - ٤٦ ، ويقول ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ المائدة - ٢ ، ويقول ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلى﴾ الأنعام - ١٥٣ .

وعن جابر رضى الله عنه يقول رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[١] ، وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أيما امرؤ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت إليه)[٢] وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٣] ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا)[٤]

---

[١] ذكره مسلم فى صحيحه ، ك الإيمان ج١
[٢] ذكره مسلم فى صحيحه ، ك الإيمان ج١
[٣] ذكره مسلم فى صحيحه ، ك الإيمان ج١
[٤] ذكره مسلم فى صحيحه ، ك الإيمان ج١

البحث السادس

الخـــــوارج

١

تعريف الخوارج

الخوارج جمع تكسير مفـــرده الخـــارج ، والخـــارج اســـم فاعل أى الذى أحـــدث الخـــروج ، ولا يحـــدث الخـــروج إلا إذا كان مسبوقا بالدخول . نقول خـــرج فـــلان مـــن البيـــت أى أنـــه كان حالا فى البيت ثم خرج منـــه . وخـــرج فـــلان مـــن معتقـــد الشرك إلى معتقد الإيمان ، أى أنه كـــان يتحـــرك داخـــل دائـــرة الاعتقاد بتعدد الآلهة ومن ثم خرج منـــها إلـــى التصديـــق القلبـــى الجازم الـــذى لا يعتـــوره أى شـــك بوحدانيـــة الله فـــى الـــذات والصفات والأفعـــال والربوبيـــة والألوهيـــة. والخـــروج نقيـــض الدخول لا يجتمعـــان معـــا ، ولا يرتفعـــان معـــا . فأنـــا إمـــا أن أكون داخل حجرة الدراسة أو خارجـــها ، ولا يمكـــن أن أكـــون داخلها وخارجها فـــى وقـــت واحـــد . يقـــول ســـبحانه وتعـــالى ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلـــى النـــور﴾ البقـــرة - ٢٥٧ أى أنـــه تعـــالى نـــاصرهم ومؤيدهـــم ومخرجـــهم مـــن ظلمات الجهالة والشرك إلـــى نـــور العلـــم والتوحيـــد. ويقـــول سبحانه ﴿فخرج على قومه مـــن المحـــراب فـــأوحى إليـــهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ مريم - ١١ إن زكريـــا عليـــه الســـلام كـــان داخل المحراب الذى بشر فيه بالولد ، فخـــرج منـــه ليشـــير إلـــى قومه ، ويكتب لـــهم فـــى الأرض أن ســـبحوا بكـــرة وعشـــيا . وقد أعلم رجل موسى عليه الســـلام أن القـــوم يتشـــاورون فـــى

قتله ، وطلب منه أن يخرج من المدينة ؛ فخـــرج منــها موســى وهو يتلفت يمنة ويسرة ، ويدعو الله ســبحانه وتعــالى أن ينجيــه يقول تعالى﴿وجاء رجل مــن أقصــى المدينــة يسـعى قــال يــا موسى إن الملأ يأتمرون بــك ليقتلــوك فــاخرج إنــى لــك مــن الناصحين ۞ فخرج منــها خائفــا يــترقب قــال رب نجنــى من القوم الظالمين۞﴾ القصص ، ٢٠-٢١ وقـــد ســمي يــوم القيامــة يوم الخروج لأن الموتى يخرجون سراعا مـــن قبورهــم ليمثلــوا أمام الذات العليــة ؛ يقــول تعــالى ﴿ يــوم يســمعون الصيحــة بالحق ذلك يــوم الخــروج ﴾ ق - ٤٣ ويقــول ســبحانه ﴿يــوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنـــهم إلــى نصــب يوفضــون ﴾ المعارج - ٤٣ . ومـــن الدلائــل علــى قدرتــه ســبحانه وتعــالى إخراج الحى من الميت وإخـــراج الميــت مــن الحــى وإحيــاء الأرض بعــد بوارهــا ، وبعــث المقبوريــن للحســاب ؛ يقــول سبحانه ﴿يخرج الحى من الميــت ويخــرج الميــت مــن الحــى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلــك تخرجــون﴾ الــروم - ١٩ .

إن مشتقات الفعــل خــرج تتعــدد ويعطــى كــل مشــتق معانى كثيرة ، ومن المشتقات لفظة "الخــــروج" . وهــذه اللفظــة يتسع مفهومها ليشمل الزمان والمكان والمعتقــد والمنــهج والقيــم . . . الخ ، ويضيق المفهوم قليلا لتكــون ماصدقاتــه كــل مــن خرج على إمام أو قائد أجمعت الأمة علـــى إمامتــه أو قيادتــه ؛ بمعنى أن الأمة اختارت إماما أو قائدا عــن طريــق أهــل الحــل والعقد وبايعه الجميع ؛ أو جــاء الإمــام أو القــائد عــن طريــق الشورى أو الاختيار الحر مـــن الأفــراد والأحــزاب كمــا هــو معمول به فى الأنظمة الديموقراطيـــة ؛ ثــم رأت جماعــة بعــد انعقاد الإجماع الذى شملهم منـــذ البــدء أن تخــرج علــى هــذا

الإجماع وترفض الانصياع لأوامر الإمام أو القائد ؛ فهذه الجماعة تسمى بالخوارج . يقول الشهرستاني : " كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمة فى كل زمان."[1] وعبارة "الأئمة فى كل زمان" توضح ما نقول وتشمل فى زماننا القائد والحاكم والرئيس . . . الخ .

القوى المعارضة

أما إذا اتخذت جماعة موقفا محددا هدفه مصلحة الأمة وأعلنت هذا الموقف ، وأوضحت المبادئ التى تستند إليه والأهداف التى ترنو إلى تحقيقها ، وتم هذا قبل انعقاد الإجماع ، أو حدوث الانتخاب ، فهؤلاء لا يسمون بالخوارج لأنهم لم يدخلوا بعد فى دائرة الإجماع ، وأصدق وصف ينطبق عليهم هو القوى المعارضة أو الأحزاب المعارضة .

وهذه القوى أو الأحزاب مطلوبة ، وبخاصة فى الأنظمة الديموقراطية ، وهى هامة لأنها تراقب التطبيق ، وتعرض الأفكار وتناقش الحلول ، وتطارد المعوقات ، وتحاسب المقصرين ، وتشارك فى كل ما يسد الثغرات ويقوى الأمة ويرتقى بها ويحافظ على وحدتها وقيمها وتراثها وترابها هى قوى غايتها البناء لا الهدم والوحدة لا الفرقة ، والقوة لا الضعف ، منطلقها قوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء

[1] الملل والنحل ج ١ ص ١٤ ط الحلبى ت عبد العزيز الوكيل

فألف بين قلوبكم فـأصبحتم بنعمتـه إخوانـا وكنتـم علـى شـفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلـك يبيـن الله لكـم آياتـه لعلكـم تهتدون ۞ ولتكن منكـم أمـة يدعـون إلـى الخـير ويـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئـك هـم المفلحـون ۞ ﴾ آل عمـران ، ١٠٣ - ١٠٤ . جماعـة الـرأى الآخـر مطلوبـة لا للعدوان على الأمة ومن اختارته ليشارك فـى تسـيير أمورهـا ؛ وإنما للنصيحة ومساندة الحاكم والمحكوم ورفاهيـة الجميـع .

ويضيق اسـم الخـوارج أكـثر ليشـمل فـترة تاريخيـة محددة وأناسا بأعينهم ؛ وهم أولئك الذين بـايعوا عليـا بـن أبـى طالب ورضوا إمامتـه وخضعـوا لتوجيهاتـه ثـم ، لشـئ فـى نفوسهم ورؤية ارتأوها ، رفضوا إمامته وخرجـوا عـن طاعتـه يقول أبو الحسـن الأشـعرى : " والسـبب الـذى سـموا لـه خوارج خروجهم على علىٍّ بن أبـى طـالب"[١] .

[١] مقالات الإسلاميين ج ١ ، ص ٢٠٧ ، ط ٢ ، سنة ١٩٦٩ ، النهضة المصرية

والخوارج بالمعنى الأخير هم جـــل مقصودنـــا فـــي هـــذه الدراسة فإذا تحدثنا عن ألقابهم أو فرقـــهم أو معتقداتـــهم فنحـــن نعنى بالحديث تلك الفرقة التى خرجت علـــى إمامـــة علـــى بـــن أبى طالب وحاربته ، وهى فرقـــة بـــاد أفرادهـــا وبقيـــت بعـــض أفكارهـــا ، تضمـــها كتـــب الفـــرق والمذاهـــب الكلاميـــة مثـــل "المقـــالات" للأشـــعرى و "الفصـــل" لابـــن حـــزم و "الملـــــل" للشهرستانى و "التبصرة" لأبـــى المعيـــن النســـفى و "المواقـــف" للإيجى و "المقاصد" للتفتازانى . . الـــخ . ولكـــن لا يعنـــى هـــذا أننا لا نهتم بمن يسمون خوارج اليـــوم ، وينســـب إليـــهم القـــول بتكفـــير الحـــاكم والمجتمـــع ، واســـتحلال الدمـــاء والأمـــوال ، والهجرة من البلاد لأنها فى رأيهم ديار كفـــر . إننـــا نحســـبهم ، إذا كانوا موجوديـــن ، امتـــدادا لأفكـــار أكـــثر فـــرق الخـــوارج تشددا وهم الأزارقـــة .

ونقول "إذا كانوا موجودين" لأننـــا نعتقـــد أن كثـــيرا ممـــا يظهر على سطح الأمـــة الإســـلامية إنمـــا هـــو وليـــد ظـــروف اقتصادية واجتماعيـــة ، اســـتغلها أعـــداء الإســـلام مـــن أبنـــاء صهيون وزبانية الصليبية القديمة وبقايـــا قـــوى الإلحـــاد ليفتتـــوا وحدة الأمة وليشعلوا نار الفتنة بين أبنائـــها بغيـــة القضـــاء علـــى الإســـلام والمســـلمين . وإذا كنـــا ســـنتحدث عـــن معتقـــــدات الخوارج وبخاصة الأزارقة ، ونـنـــاقش هـــذه المعتقـــدات فـــإن معتقدات خوارج اليوم ، إن وجدوا ، تدخل فـــى نطـــاق مناقشـــة معتقدات خـــوارج الأمـــس . وعلـــى ســـبيل المثـــال ، خـــوارج الأمس من الأزارقة خرجوا على الحاكم وكفـــروه وكفـــروا مـــن

لم يتبعهم من أفـــراد المجتمـــع . ونحـــن نســـمع الحكـــم بتكفـــير الحاكم والمجتمع يردده بعض من يسمون بخـــوارج اليـــوم .

وللرد عليهما معا نذكر حديثا شـــريفا لرســـولنا صلـــى الله عليه وسلم ، ونصا صريحا لأبى حامد الغزالـــى المتوفـــى ســـنة ٥٠٥ هـــ . عن عوف بـــن مـــالك عـــن رســـول الله صلـــى الله عليه وســـلم قـــال (خيـــار أئمتكـــم الذيـــن تحبونـــهم ويحبونكـــم ويصلون عليكـــم وتصلـــون عليـــهم . وشـــرار أئمتكـــم الذيـــن تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكـــم . قيـــل يـــا رســـول الله أفلا ننابذهم بالسيف ، قـــال لا مـــا أقـــاموا فيكـــم الصـــلاة ، وإذا رأيتم مـــن ولاتكـــم شـــيئا تكرهونـــه فـــاكرهوا عملـــه ولا تنزعوا يدا من طاعة) ."[1] ويقـــول الإمـــام الغزالـــى : " والـــذى ينبغى أن يميل المحصل إليـــه الاحـــتراز – أى الابتعـــاد – مـــن التكفير ما وجد إليه سبيلا ؛ فإن استباحة الدمـــاء والأمـــوال مـــن المصلين إلى القبلة ، المصرحيـــن بقـــول لا إلـــه إلا الله محمـــد رسول الله خطأ والخطأ فى ترك ألف كافر فـــى الحيـــاة أهـــون من الخطأ فى سفك محجمة مـــن دم مســـلم ."[2]

أفكار ومعتقدات الماضى البعيـــد مـــن تكفـــير واســـتحلال للدم والمال يلوكها البعض مـــن أبنـــاء الأمـــة بإرادتـــهم وبغـــير إرادتهم ، والـــرد علـــى أفكـــار المـــاضى ومعتقداتـــه ينســـحب بالضرورة على أفكار ومعتقدات من يســـمون بخـــوارج اليـــوم .

---

[1] ذكره مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب "خيار الأئمة و شرارهم" ج ٢ ، ص ١٣٨ دار الكتب العلمية بيروت .

[2] الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ١٥٦ ، دار الكتب العلمية بيروت .

من عوامل نشأة الخوارج الجـــدد

خوارج اليوم هم انعكاس بصورة مـــا لخـــوارج الأمـــس. دفع الفهم السطحى المتسرع للقـــرآن الكريـــم والســـنة المطـــهرة خوارج الأمس للخروج والتطرف . ونفس الفـــهم أو قـــل أكـــثر ضحالة منه هو الدافع لخروج خـــوارج اليـــوم . يحـــدد الدكتـــور يوسف القرضاوى أسباب التطرف أو الغلـــو فـــى نقـــاط منـــها " ضعف البصيرة بحقيقـــة الديـــن ، وقلـــة البضاعـــة فـــى فقهـــه والتعمق فى معرفة أســـراره ، والوصـــول إلـــى فـــهم مقـــاصده واستشـــفاف روحـــه ؛ فـــالمتطرف أو المغـــالى أو الخـــارج لا يربـــط الجزئيـــات بالكليـــات ، ولا يـــرد المتشـــابهات إلـــى المحكمات ، ولا يحاكم الظنيات إلى القطعيـــات ولا يعـــرف مـــن فنون التعـــارض والـــترجيح مـــا يســـتطيع بـــه أن يجمـــع بيـــن المختلفات أو يرجح بين الأدلـــة والاعتبـــارات "[1]. وقديمـــا قـــال سقراط "اعرف نفسك" ، ويحكى عـــن الإمـــام علـــى رضـــى الله عنه أنه قال : " رحم الله امرءا عـــرف قـــدر نفســـه " . فمعرفـــة النفس وقدراتها من الأمور المهمة لاســـتقرار الفـــرد والمجتمـــع ونرى أن أناسا لم يعرفوا ولم يحـــاولوا المعرفـــة وجمـــدوا عنـــد الظواهر ، وعملوا علـــى تضييـــق مـــا وســـعه الله ورســـوله ، كانوا من أهم واضعى بذور الخـــروج .

ثم إن هناك عوامل مساعدة دفعت بـــالبعض إلـــى تطليـــق المجتمع وتكفيره واتخـــاذ موقـــف المنـــاوئ مـــع كـــل أفـــراده وبعض القيم السائدة فيه . من هـــذه العوامـــل :

---

[1] الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، ص ٦٢ وما بعدها ، كتاب الأمة ، قطر ، ط أولى ١٤٠٢هـ

١ . انحياز الإعلام العالمى باسم المدنية والحضارة والتقدم إلى صف العلمانية ، والعمل على نشرها فكرا وتطبيقا ، والتهجم الواضح والسخرية اللاذعة من بعض رموزه على الدين أو المشتغلين بالدراسات الدينية . وهذا الانحياز يؤدى إلى اختلاط القيم وبلبلة الأفكار ، وتشويش الرؤى ، وضعف الوازع الدينى ، وظهور الأنامالية فى أوضح صورها . وكرد فعل تظهر تناقضات عنيفة تتمثل فى التطرف أو الغلو ، والذى من صوره الخروج .

٢. تحريض الآخر والذى يستخدم أحدث الأساليب العلمية المادية والمعنوية فى تحركاته . ونعنى بالآخر أجهزة الاستخبارات الصهيونية والغربية واللادينية . وهذه الأجهزة تعمل بذكاء ، وتتحرك بخفة ، وتعطى بسخاء ، وتستخدم الترغيب والترهيب ، وتلبس عملها ثوبا إسلاميا فضفاضا ظاهره الغيرة والخوف على الدين وقيمه وعقائده وشرائعه وباطنه الرغبة الجامحة فى تدمير الأمة الإسلامية والسيطرة الكاملة على كل مقدراتها .

٣. ويشارك العوامل السابقة الظروف الاقتصادية المضطربة للعالم الإسلامي . فعلى الرغم من امتلاك كثير من بلدانه لعناصر التقدم المادى والمعنوى مثل : التربة الخصبة ، والمساحات الشاسعة ، والمناخات المتعددة ووفرة الماء ، وكثرة المعادن الطبيعية وبخاصة البترول والذهب ، ومئات الملايين من البشر القادرين على العمل والعطاء الجاد ، ثم التراث الحافل بكل ما يدعو ويؤدى للرقى ، والأهم من كل ما مضى وجود كتاب الله القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى يشتمل بين دفتيه على كل ما يحتاج إليه الفرد والأسرة والجماعة والأمة بل والعالم من

عقائد وعبادات ومعـــــاملات وأخـــلاق . ومـــع القـــرآن الكريـــم وجود أقوال الرسول وأفعاله وتقريراتـــــه والمتمثلـــة فـــى ســـنته صلى الله عليه وسلم وهما معـــا – أى القـــرآن والســـنة – لـــو فهما وطبقا بطريقـــة صحيحـــة ســـوف يـــؤدى الفـــهم الواعـــى والتطبيق الأمين إلى وجـــود مجتمـــع القـــدوة والقـــدرة والعـــزة والمنعة الذى يقول فى حقه سبحانه وتعـــالى ﴿ كنتـــم خـــير أمـــة أخرجت للناس ﴾ ؛ المجتمـــع الـــذى يـــأمر بـــالمعروف وينـــهى عن المنكر ، ويؤمن بالله عز وجل ؛ أقـــول علـــى الرغـــم مـــن امتلاك العالم الإسلامى لعنـــاصر التقـــدم ، إلا أن المـــردود لـــها فى بعض بلدانه كان الفقر والجهل والمـــرض وانتشـــار البطالـــة والتفكك الاجتماعى والأنانيـــة ورغبـــة البعـــض فـــى الســـيطرة على مقدرات البعـــض الآخـــر . وإذا حاولنـــا أن نبحـــث عـــن السبب فسوف نجد التخطيـــط الســـيئ والاســـتخدام الأســـوأ مـــع ضعف الإحساس بالمسئولية . اجتمعـــت العوامـــل الســـابقة مـــع غيرها لتشكل الدوافع الحقيقية لظهور خـــوارج اليـــوم .

أولو الأمر والتصحيـــح

ولو أن القائمين على شئون الأمـــة الإســـلامية فـــى كـــل زمان ومكان عملوا جاهدين على تصحيـــح المفـــاهيم ، وتطبيـــق القيم الإسلامية الصحيحة ، وإزالة الأمية الثقافيـــة بنشـــر تعـــاليم الإسلام ومفاهيمه السهلة السمحة انطلاقـــا مـــن قولـــه تعـــالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســـنة وجادلـــهم بـــالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عـــن ســـبيله وهـــو أعلـــم بالمهتدين ﴾ النحل – ١٢٥ ، وقوله ســـبحانه ﴿ فذكـــر إنمـــا أنـــت

مذكر ۞ لست عليهم بمسيطر ۞ ﴾ الغاشية ، ٢١ - ٢٢ وقوله سبحانه ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ البقرة - ٢٥٦ وقوله عز وجل ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ القصص - ٥٦

وفى نفس الوقت ألقوا بكل ثقلهم لتسيير الإعلام فى الطريق الصحيح الذى يحافظ على قيم الأمة ، ويوجد الشباب الناهض والنابض قلبه بالأمل ، ويوحد فئات المجتمع ، ويسد الثغرات التى منها يدلف الشيطان ؛

وبنفس الثقل العلمى تابعوا قوى البغى والغزو الفكرى والقوى المثبطة ، وعملوا على رد كيدهم إلى نحورهم ؛

ثم بذل ما فى الطاقة العقلية والجسمية فى استغلال مقدرات الأمة الاقتصادية والمعنوية الاستغلال الأمثل الذى يسد باب الفقر والجهل والمرض ، ويوفر العمل الشريف لكل قادر عليه ، ويخفف من رذيلة الأنانية والتسلط ، ويبذر بذور الحب والتآخى والتسامح بين الجميع ؛

لو أن القائمين على أمور البلاد زادوا من إخلاصهم لله تعالى وللأمة الإسلامية ، وعملوا بوعى وعقلانية أكثر ، مع تقوى الله سبحانه وتعالى لانسد هذا الباب المرذول الذى يأتى منه الخوارج ، ولسجل التاريخ أنصع سيرة لهم يتعرف عليها الأجيال إلى أن تقوم الساعة . يقول الله عز وجل ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ۞ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ۞ ﴾ الطلاق ، ٢ - ٣ .

إن القضاء على هـذه الميول العدوانية و التى تلبس ثوب الإسلام وتسىء إليه بإرادتها وبغير إرادتها يتطلب تضافر الأمة محكوميها وحكامها ، وأخذهم بالأسباب فى جميع الاتجاهات والمجالات ، ومع الأخذ بالأسباب يطلبون العون من الله عز وجل ، ويثقون فى نفس الوقت بأنه سبحانه نعم المعين .

من أهم سمات الخوارج

أكرر أننا نتكلم عن خوارج الأمس ، ومع هذا سنلاحظ معا أن الكثير من السمات التى نذكرها هى سمات يشترك فيها خوارج الأمس واليوم . ومن هذه السمات :

١. القصور فى الفهم وعدم التعمق وإتعاب الذهن ، والأخذ بظاهر النصوص ، والاكتفاء بالفهم السطحى لها ، ثم التمسك بهذا الفهم والادعاء بأنه الفهم الأوحد والذى دونه الضياع والسقوط فى هاوية الكفر . "إن الخوارج عندما ينظرون إلى القرآن لا يتعمقون فى التأويل ، ولا يغوصون وراء المعانى الدقيقة ، ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أهداف القرآن وأسراره ، بل يقفون عند حرفية ألفاظه ، وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية"[1] "ومن الخوارج من أداه تمسكه بظاهر النصوص إلى أن قال : لو أن رجلا أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار لقوله تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا

[1] د . محمد حسين الذهبى ، التفسير والمفسرون ، ج ٢ ص ٣١٠ ، ط الثانية ١٩٧٦

وسيصلون سعيرا ﴾ النساء ، ١٠ ولو قتل اليتيم أو بقر بطنه لم تجب له النار لأن الله لم ينص على ذلك"[١]

٢. ويواكب القصور فى الفهم سمة الغرور والاستعلاء على الغير تلك السمة التى تدفع المتصف بها إلى اعتبار نفسه كل شئ ، أما الآخرون فهم هراء لا عقل ولا قلب لهم ، وما عليهم إلا الانصياع لما يقال . جلست مع واحد من هؤلاء ، والذى يعمل سائقا للترام ، وجل بضاعته بعض الآيات والأحاديث الشريفة ، وأسمعنى مشكورا بعض هذه الآيات ، ثم تصدى لشرحها بطريقة بدائية وأسلوب ركيك ، وحينما سمعنى أشكر فيه اجتهاده من باب المجاملة رد على الجميل بالسخرية من علماء الأزهر ، وتسفيه أفكارهم ، واتهامهم بالجهل والغوغائية ، والسير فى ركاب السلطان ثم رفع عقيرته وهو يشير إلى نفسه بعد أن نفخ ريشه قائلا : لولانا لضاع الإسلام وضاعت الأمة . وحينما هممت بالانصراف وأنا أردد سامحك الله !! سمعت من هو مثله فى الضحالة والأمية الدينية يقول : العلم والدين عندنا وليس عند دكاترة الأزهر . والمطلوب أن يتتلمذ علماء الأزهر علينا حتى يصلحوا من شأن الناس ويحافظوا على الدين .

٣. وهم يكثرون من العبادة ؛ والعبادة عندهم تضيق لتشمل الصلاة والصوم والتفرغ لقراءة القرآن ، بحيث إذا قارن مسلم آخر يؤدى الشعائر التعبدية ويقرأ القرآن ، ويفهم أن العبادة تتسع لتشمل كل عمل يحبه الله ويرضاه ، وأنها تشمل الالتزام بأوامر الله فى كل جنبات الحياة ، والابتعاد عن نواهيه سبحانه وتعالى ، وتأكيد الذات التى هى خليفة الله

---

[١] نفس المرجع ص ٣١١ نقلا عن الفرق بين الفرق للبغدادى

على هـــذه الأرض -- إذا قـــارن صلاتـــه بصلاتـــهم وصيامـــه بصيامهم وقراءته بقراءتهم لحسب نفســـه فـــى قمـــة التقصـــير ، مع أن الأمر على خـــلاف مـــا يحســـب ، لأنـــهم يضيقـــون مـــا وسعه الله سبحانه وتعالى . يقول على بـــن أبـــى طـــالب رضـــى الله عنه : أيها الناس سمعت رسول الله صلـــــى الله عليـــه وســـلم يقول (يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليـــس قراءتكـــم إلـــى قراءتـــهم بشـــئ ، ولا صلاتكـــم إلـــى صلاتـــهم بشـــــئ ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشئ يقرأون القـــرآن يحســـبون أنـــه لـــهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيـــهم – أى أنـــهم لا ينتفعـــون بالعبادة – يمرقون من الإسلام كما يمـــرق الســـهم مـــن الرميـــة)[1]

٤. وهم يهتمون بالجزئيات أكثر من اهتمامـــهم بالكليـــات ؛ فمـــن السنة المشرفة إعفاء اللحية وقـــص الشـــارب مخالفـــة لليـــهود ، يقول صلى الله عليه وسلم (قصوا الشـــوارب واعفـــوا اللحـــى)[2] ومنها تقصير الثوب للرجل ابتعـــادا عـــن الاغـــترار أو الخيـــلاء يقول صلى الله عليه وسلم (مـــن جـــر إزاره لا يريـــد بذلـــك إلا المخيلة فـــإن الله لا ينظـــر إليـــه يـــوم القيامـــة)[3] ، ومعلـــوم أن المسلم إذا التزم بالســـنة المطـــهرة كـــان أفضـــل لـــه ، وإذا لـــم يلتزم فقد ترك الأفضـــل .

أما هم فيأخذون الحديثين الشريفين علـــى ســـبيل الفـــرض وبالتالى فليس بمسلم من لم يطلـــق اللحيـــة أو يقصـــر الثـــوب ، وهم يقيمون الدنيا ويقعدونها بسبب اللحيـــة أو الثـــوب ، مـــع أن

---

[1] مسلم فى صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب التحريض على قتل الخوارج ، ج١ ص ٤٣٠ ، دار الكتب العلمية بيروت .

[2] ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى هريرة ، ج٢ ، ص ٢٢٩

[3] ذكره مسلم فى صحيحه عن ابن عمر ، ك اللباس ، باب تحريم جر الثوب

الأولى أن يعطوا الاهتمام الأكثر إلـــى المقـــاصد الأساســـية فـــى الإسلام مثل الحفاظ علـــى النفـــس والمـــال والعـــرض والعقـــل والدين ، وهى مقاصد ترقى لدرجـــة الفـــرض .

لكنا – مع وضوح هذه المقاصد ، والحديث المســـهب عنـــها فـــى القرآن الكريم والسنة المشرفة – نرى الخـــوارج يعتـــبرون هـــذه الأمور من الأمور الثانوية ، ويكفى أن نقـــول إن البعـــض منـــهم يستحلون قتل مخالفيهم مـــن المســـلمين ، واغتصـــاب أموالـــهم ، وأخذ نسائهم وأطفالـــهم ســـبايا ، ورميـــهم بـــالكفر . فالكليـــات عندهم متروكة أمـــا الجزئيـــات فـــهى الأســـاس ، وهـــى التـــى يكثرون من الجدل فيها ، ويحكمون على النـــاس مـــن خلالـــها .

"ومن المؤسف حقا أن من هـــؤلاء الذيـــن يثـــيرون الجـــدل فـــى هذه المسائل الجزئية وينفخـــون فـــى جمرهـــا باســـتمرار أناســـا يعرف عنهم الكثـــيرون ممـــن حولـــهم التفريـــط فـــى واجبـــات أساسية مثل : بر الوالديـــن ، أو تحـــرى الحـــلال أو أداء العمـــل بإتقـــان ، أو رعايـــة حـــق الزوجـــة أو حـــق الأولاد أو حـــق الجـــوار"[1] .

٥. الميل لاستخدام القوة ضد المخالفين لهم فـــى الـــرأى ، فبـــدلا من اللجوء للعقل لإقناع الخصم ، وفتـــح بـــاب النقـــاش للتعـــرف على الرأى والرأى الآخر والوقوف على الصحيـــح مـــن الفكـــر ، نراهم يتعصبـــون لمـــا يعتقـــدون ويصمّـــون آذانـــهم ويغلقـــون عقولهم عما لا يتمشى مع ما يريـــدون . ثـــم هـــم فـــى عصبيـــة جاهلية يحملون السلاح ويقاتلون المســـلمين ويســـبونهم ، مـــع أن الرسول يقول (سباب المسلم فسوق وقتالـــه كفـــر)[2] . وســـيوضح

---

[1] د . يوسف القرضاوى ، الصحوة الإسلامية ، ص ٧٢

[2] ذكره مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود ، كتاب الإيمان ، باب قول النبى سباب المسلم فسوق ، ج ١ ، ص ٤٥

موقفهم من التحكيم في صفين وخروجهم على الإمام على رضى الله عنه ، والاستعداد لمقاتلته هذه السمة .
٦. المزاج الحاد الذى يدفعهم إلى سرعة الانقلاب والميل للتغيير، فقد يكون الجمع منهم تحت إمرة شخص ما ارتضوه لأنفسهم أميرا ، ثم تبدر منه بادرة ربما لا تتفق مع ميولهم فيكون رد الفعل هو الانقلاب عليه ورفض إمرته ومعتقداته واتخاذ أمير جديد مع معتقدات جديدة . ويؤكد هذه السمة خروجهم على الإمام على وتكفيره وتأمير عبد الله بن وهب الراسبى . وكثرة فرق الخوارج فى الماضى والتى جاوزت الثلاثين ثم التعددات التى نشاهدها على سطح الأمة الإسلامية والتى تسمى بخوارج اليوم .
٧. ومن سماتهم غلبة سلطان المذهب عليهم فى فهمهم للقرآن الكريم ؛ فالذى "يقرأ تاريخ الخوارج ، ويقرأ ما لهم من تفسير يرى أن المذهب قد سيطر على عقولهم وتحكم فيها فأصبحوا لا ينظرون إلى القرآن إلا على ضوئه ، ولا يدركون شيئا من معانيه إلا تحت تأثير سلطانه ، ولا يأخذون منه إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها"[1]. فمذهب الأزارقة يرفض التقية لأن فيها الخشية من الناس ، ولا يجوز لأحد أن يخشى إلا الله تعالى . ويستدلون على حرمتها بقول الله تعالى ﴿ إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ النساء - ٧٧ بينما يجوّز النجدات القول بالتقية استنادا لقوله تعالى ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ غافر - ٢٨. وأكثر الخوارج يكفرّون مرتكب الكبيرة ، ولهم أدلتهم التى يأخذونها من القرآن

---

[1] د . محمد حسين الذهبى ، التفسير والمفسرون ج ٢ ، ص ٣٠٥

الكريم والتأمل فى هذه الأدلـــة يؤكـــد أن ســلطان المذهـــب هـــو الذى يحكم فهمهم للقــــرآن .

ونورد بعض هذه الأدلة مع الــــرد الموجــــز :

أ. قوله تعالى ﴿ ومن لـــم يحكـــم بمـــا أنـــزل الله فـــأولئك هـــم الكافرون﴾ المائدة – ٤٤ . فهى عامة فى كل مـــن لـــم يحكـــم بمـــا أنزل الله ، تشمل الفاسق المصدق الـــذى لا يحكـــم بمـــا أنـــزل الله ، إذا فهو كافر . وكل من ارتكب ذنبا فهو حــــاكم بغـــير مـــا أنزل الله وبالتالى هو كــــافر .

ويرد عليهم بأن من أنكر بقلبه وجحد بلســـانه فـــهو حـــاكم بغـــير ما أنزل الله ، أما من صدق بقلبه وعـــرف أنـــه حكـــم الله تعـــالى ونطق بلسانه إلا أنه أهمـــل فـــى التطبيـــق كســـلا أو تراخيـــا أو لظروف تتطلب التدرج فى التطبيق فهو مقصـــــر وليـــس بكـــافر، وهو مذنب على قدر تقصيره وكســــله[1].

ولأهمية هذه القضية ، وهى قول الخوارج بـــأن مـــن لـــم يحكـــم بما أنزل الله تعالى فهو كافر استنادا إلى الآيـــة الكريمـــة ﴿ومـــن لم يحكم بما أنـــزل الله فـــأولئك هـــم الكـــافرون﴾ نـــورد بعـــض النصوص التى توضح أن المراد بـــالكفر كفـــر عصيـــان وليـــس كفر ملة يخرج عن الإسلام ، وأن الكافر كفر ملـــة هـــو المنكـــر لحكم الله الجاحد له بلسانه وقلبه . يقول القرطبـــى "فأمـــا المســـلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة . وقيل فيـــه إضمـــار أى ومـــن لـــم يحكم بما أنزل الله ردا للقـــرآن وجحـــدا لقـــول الرســـول عليـــه الصلاة والسلام فهو كافر . قاله ابـــن عبـــاس ومجـــاهد ، فالآيـــة عامة على هذا . قال ابن مسعود والحسن هـــى عامـــة فـــى كـــل

---

[1] راجع شرح المواقف ، المجلد الثالث ، ص ٢٥٥ ، وتفسير الفخر الرازى ج ١٢ ، ص ٧

من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار ، أى معتقدا ذلك ومستحلا له . فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرم فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له . وقال ابن عباس فى رواية: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلا يضاهى أفعال الكفار . وقيل : أى ومن لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ، فأما من حكم بالتوحيد ولم يحكم بجميع الشرائع فلا يدخل فى هذه الآية . . . قال طاووس وغيره : ليس بكفر ينقل عن الملة ولكنه كفر دون كفر"[1] وهو المسمى عند الأباضية من الخوارج كفر النعمة." قال طاووس: وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الثورى عن ابن جريج عن عطاء أنه قال كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق . رواه ابن جرير. . . وعن ابن عباس قال: ليس بالكفر الذى تذهبون إليه."[2]

وهكذا نرى أن فهم الكثير من الخوارج وقف وفقا لمذهبهم عند تكفير من لم يحكم بما أنزل الله وكل مرتكب لكبيرة ، بينما القضية تتسع لكثير من الآراء الصادرة عن أجلة العلماء ، ومنها أن مرتكب الكبيرة معه من الإيمان ما يحول بينه وبين الكفر ، فهو مع تصديقه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى يعلم ما هى الكبائر ، ويؤمن بحكم الله فى مرتكب الكبيرة إلا أنه لغلبة شهوة أو هوى وقع فى إحداها ، وربما تكرر منه الوقوع دون نكران أو جحود لحكم الله . وهو مع وقوعه يثق فى رحمة الله وغفرانه ويؤمن ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به

[1] الجامع لأحكام القرآن الكريم ، المجلد السادس ، ص ١٩٠

[2] تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، المجلد الثانى ، ص ٦١ ، دار المعرفة بيروت

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ النساء - ٤٨ ويضع نصب عينيه قوله تعالى ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ الزمر - ٥٣

ب . يقول سبحانه وتعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ آل عمران - ٩٧ . هم يقولون إن الله تعالى جعل ترك الحج كفرا وعلى هذا يعتبر تاركه كافرا .

ويرد عليهم بأن الجاحد المنكر بقلبه ولسانه لفريضة الحج هو الذى يكفر لجحوده وإنكاره لركن من أركان الإسلام ، أما من لم يجحد أو ينكر فإنه بتركه للحج لا يكفر "قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أى ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غنى عنه"[1]

٨. ومن سماتهم أن ظهورهم سيكون فى آخر الزمان ، قد يكون زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يكون زمن الصحابة وقد يكون فى أى زمن متباعد سيخرج قوم صغار السن ، صغار العقول يرددون الأحاديث الشريفة والقرآن الكريم دون أن يؤثرا فيهم ولهذا يمرقون من الدين وقتالهم واجب . عن على بن أبى طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (سيخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير المجلد الأول ص ٣٨٦

السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة)[1]

٩. ومن سماتهم ما يوضحه النص التالى "كانوا أعرابا قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا فى السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمر ولا أصحاب على ولا أصحاب عائشة ولا أصحاب أبى موسى ولا أصحاب معاذ بن جبل ولا أصحاب أبى الدرداء ولا أصحاب سلمان ولا أصحاب زيد وابن عباس وابن عمر . ولهذا نجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم ."[2]

١٠. ومن سماتهم التناقض الحاد فى فهم الإسلام ، ففى الوقت الذى يكفرّون فيه مخالفيهم من المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم ، وفى الوقت الذى يقتلون فيه عبد الله بن خباب بن الأرت ويبقرون بطن جاريته الحامل[3] ، ولا ذنب له إلا حرصه على ألا يتفوه بكلمة تسئ إلى عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، نراهم فى نفس الوقت لا يقبلون من النصرانى نخلته إلا بثمن يحدده لهم حرصا منهم – كما يرون – على التمسك بذمة النبى فى النصارى . فالنصرانى يقول لهم هى لكم فقالوا : والله ما كنا لنأخذها إلا بثمن ، ثم تنادوا احفظوا ذمة نبيكم ، فقال لهم

---

[1] ذكره مسلم فى صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب التحريض على قتل الخوارج ج ١ ، ص ٤٢٩

[2] ابن حزم ، الفصل ، ج ٤ ، ص ١٢١

[3] راجع تلبيس إبليس لابن الجوزى ، ص ٩٦

النصراني : ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون مني نخلة

ونختم هذه السمات بما يقوله أبو حمزة الخارجي في وصف أصحابه من الخوارج "شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطن أرجلهم ، أنضاء عبادة ، وأطلاح سهر ، نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك في جنب الله حتى إذا رأوا السهام قد فوقت والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت إليه سباع الأرض وانحطت إليه طير السماء ، فكم من عين في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله "[1]

ولا تعليق على النص سوى القول بأن الإسلام للدنيا والآخرة وأن القوة كما تكون مطلوبة للروح فهي في دنيا الناس مطلوبة أيضا للجسد . يقول الرسول الكريم (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير احرص عل ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ...) وأن استخلاف الله للإنسان على الأرض لا يعني تطليق الحياة

[1] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٢٦٢ ج ١ ط ١٩٧٨

وإنما يعنى تأكيد الذات وفقا لمـــا أراد الله ، والتمتــع بمــا أحلــه الله والابتعاد عما حرمه ، والعبادة تعنـــى فيمــا تعـــنى عمــارة الأرض ولا تكون العمارة إلا بالحركة الجادة فـــى كــل جنبــات الكون مع الالتزام بالأوامر الإلهية والابتعاد عــــن النواهـــى .

واحـــترام الإنســـان لأخيـــه الإنســـان ضـــرورة تتطلبـــها الحياة وبخاصة إذا كان على دين الإســـــلام يشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمـــدا رســـول الله ويقيـــم الصـــلاة ويؤتـــى الزكــــاة ويصوم رمضان ويحج البيت إن اســـتطاع . ويتطلـــب الاحـــترام للمسلم الحفاظ علـــى دينـــه ومالـــه وعرضـــه ونفســـه وعقلـــه ، فالمسلم الحق من سلم المسلمون من لســـانه ويـــده ، لا مـــن راح بفهم قاصر للإسلام يقاتل أخاه فـــى الإســـلام ويدمـــر كـــل شـــئ حتى نفســـه .

٢

نشأة الخـــوارج

بذور الخـــروج

لو حاولنا أن نســـتقرأ أحـــداث المـــاضى البعيـــد بـــاحثين عن بذور الخروج فسوف نجد أنفســـــنا أمـــام موقـــف يمكـــن أن نعتبره البذرة الأولـــــى أو البـــؤرة الأساســـية للخـــروج . وهـــذا الموقف يصــــوره حديـــث للرســـول صلـــى الله عليـــه وســـلم ، والذى منه نستشف أن عليا بن أبـــى طـــالب بعـــث مـــن اليمـــن بقطعة من الذهب ، وأن الرسول صلى الله عليـــه وســـلم قســـمها على أربعة من المسلمين . وأثناء التقســـيم قـــال البعـــض نحـــن أحق بها منهم ، ثم قام رجـــل غـــائر العينيـــن منفـــوخ الوجنتيـــن بارز الجبهة حليق الرأس كثيـــف اللحيـــة وقـــال : اتـــق الله يـــا رسول الله فأعلمه رسول الله أنـــه أحـــق بتقـــوى الله مـــن غـــيره لأنه رســـول الله .

وحينما أعطى الرجل ظهره للناس منصرفـــا طلـــب خـــالد ابن الوليد من الرسول عليـــه الصـــلاة والســـلام أن يســـمح لـــه بضرب عنقه فرفض الرسول ، وهـــو صلـــى الله عليـــه وســـلم يعلم الناس سبب الرفض للقتل بقولـــه لعلـــه يصلـــى ، وحينمـــا يقول خالد : كم من مصل يقول بلسانه مـــا ليـــس فـــى قلبـــه ؟!! يعلمه الرسول ويعلمنا من خلالـــه أن لنـــا الظـــاهر والله يتولـــى السرائر . يقول عليه الصلاة والسلام (إنى لـــم أومـــر أن أنقـــب عن قلوب الناس ولا أشق بطونـــهم)

ثم أخبر صلى الله عليه وسلم إن من ذرية هذا الرجل سيخرج قوم يكثرون من قراءة القرآن الكريم إلا أن قراءتهم لا تصل إلى قلوبهم ، ولهذا فهم سريعوا الخروج من الإسلام مثل سرعة خروج السهم من الرمية .
ونذكر الحديث كما ورد فى صحيح مسلم بنصه لأمرين :
١. إنه آية من الآيات الدالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم حيث تحقق ما قاله الرسول بظهور الخوارج كما سنرى فيما بعد
٢ . إنه يحدد الموقف بما لا يدع مجالا لأى تقول أو تأويل .

إلا أننا قبل ذكر الحديث الشريف نذكر نصا للشهرستانى يؤكد أن الشبهات التى ظهرت فى آخر الزمان – ويعنى بآخر الزمان ، زمان الرسول صلى الله عليه وسلم – ناشئة من شبهات خصومه من الكفار والمشركين والمنافقين فى أول زمانه فما حدث من شبهات أدت لمقتل عثمان بن عفان ثم حادثة الجمل وصفين والتحكيم والخروج الكبير ، كل هذه مسبوقة بموقف ذى الخويصرة واعتراضه على الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله للرسول هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى . يقول الشهرستانى "وكما قررنا إن الشبهات التى وقعت فى آخر الزمان هى بعينها تلك الشبهات التى وقعت فى أول الزمان ، كذلك يمكن أن نقر فى زمان كل نبى ودور صاحب كل ملة وشريعة ، أن شبهات أمته فى آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين . . . فلم يخف فى هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقى زمن النبى عليه السلام ، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى ،

وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى ، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه . إن اعتراض ذى الخويصرة وقوله لرسول الله اتق الله يا محمد خروج صريح على النبى عليه الصلاة والسلام . ولو صار من اعترض على الإمام الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجيا . أو ليس ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه ، وحكما بالهوى فى مقابلة النص ، واستكبارا على الأمر بقياس العقل"[1] .

يعتبر موقف ذى الخويصرة إذا هو بذرة الخروج التى انبتت قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه وما ترتب على القتل من تداعيات خطيرة .

عن أبى سعيد الخدرى قال : بعث على بن أبى طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبة فى أديم مقروظ لم تحصل من ترابها . قال : فقسمها بين أربعة نفر؛ بين عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، وعلقمة بن علاثة . فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء . قال فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال (ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء ، يأتينى خبر السماء صباحا ومساء) قال فقام رجل غائر العينين ، مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة ، كث اللحية ، محلوق الرأس ، مشمر الإزار فقال يا رسول الله اتق الله) فقال (ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقى الله) قال ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال (لا لعله أن يكون يصلى) قال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنى لم

---

[1] الشهرستانى ، الملل والنحل ، ج١ ، ص ١٩

أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم) قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال (إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .)[1]

إذا ذهبنا لاستنطاق الحوادث بعد هذا سوف نجد أنفسنا فى مواجهة فئات باغية ، خرجت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، متعللة ببعض المواقف ، والتى منها الادعاء بأنه ضرب عمار بن ياسر حتى فتق أمعاءه ، وضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه . وابتدع فى جمعه للقرآن ، حيث فعل ما لم يجرؤ على فعله من سبقه من الأئمة . ونفى أبا ذر الغفارى إلى الربذة ، وهى قرية من قرى المدينة المنورة . ورد الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده الرسول صلى الله عليه وسلم منها ، وكان يسمى طريد رسول الله ، وحينما شهد عثمان أمام الصديق وعمر بأن الرسول عفا عنه وسمح بعودته لم يأخذا بقوله وأصرا على بقاء الحكم منفيا . وولى معاوية بن أبى سفيان للشام ، وعبد الله بن عامر بن كريز للبصرة حتى أحدث فيها ما أحدث . وكذلك ولى الوليد بن عتبة وهو فاسق . وكتب كتابا وأرسله إلى واليه فى مصر عبد الله بن أبى السرح يطلب منه قتل من ذكر فيه[2] .

كان من الممكن لهذه الفئات أن توسع من دائرة الفهم ، وتتأكد أن ما تدعيه لا يستند إلى أساس صحيح ،

---

[1] ذكره مسلم فى صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، ج ١ ، ص ٤٢٦ ، دار الكتب العلمية بيروت

[2] انظر العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى المتوفى سنة ٥٤٣ ، ص ٧٧ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، مكتبة السنة

وبالمعرفة الحقة تحافظ علـــى وحـــدة الأمـــة وأمنـــها . إلا أنـــها خرجت على إمام المســـلمين عثمـــان بـــن عفـــان بدافـــع الغلـــو والعصبية والحسد والحمق والتسلط والرغبة فـــي تفتيـــت الأمـــة الإسلامية وترويعها ولم تكتف بالتآمر علـــى عثمـــان والخـــروج عليه ، بل صعدت الموقف حتـــى قتلتـــه[1] .

وموقف هذه الفئات يجعلنا نعتقد أن مؤامـــرة دبـــرت فـــي الخفاء من أطراف عدة ؛ وثنية ومجوســـية ويهوديـــة وغيرهـــا . واندفع إلى تنفيذهـــا غوغـــاء ، لا يحســـنون الفـــهم ، ويتمتعـــون بالغلو ، ويهرولون وراء كل ناعق . لـــم يرســـخ الإســـلام فـــي قلوبهم ، وهم بفعل المؤامرة يحسبون أنـــهم وحدهـــم المســـلمون حقا .

وما يؤكد اعتقادنـــا أن الإســـلام الـــذى جـــاء بـــه محمـــد صلى الله عليه وسلم من عند ربه استطاع فـــي فـــترة وجـــيزة – بدأت ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثـــم خلافـــة الصديـــق وعمر وعثمان – أن يدخل الكثير مـــن عبـــاد الأصنـــام والنـــار والملائكة والقائلين بالتثليث وبـــأن عزيـــرا بـــن الله ، فـــي ديـــن الوحدانية ، وإخـــلاص العبوديـــة لله . وفـــي حركتـــه الواعيـــة الجادة النظيفة قضى على دولتى الفـــرس والـــروم ، وبســـماحته فتح طريق العزة أمام الجميـــع .

وقد أوغرت حركته وفتوحاته وســـماحته صـــدور بعـــض أعدائه ولهذا راحـــوا يدبـــرون فـــي الظـــلام ، فقتلـــوا الخليفـــة الثانى عمر بن الخطاب رضـــى الله عنـــه . ولمـــا رأوا عثمـــان رضى الله عنه يسير على نفس الـــدرب الـــذى خطـــه الرســـول

---

[1] من قتلة عثمان ، محمد بن أبي بكر ، ورفاعة بن رافع ، والحجاج بن غزنة ، وعبد الرحمن بن فضل الجمحي ، وكنانة بن بشر ، وسند بن حمدان ، وبسرة بن رهم ، وعمر بن الحمق الخزاعي . راجع أصول الدين للبغدادى ، ص ٢٨٧

صلى الله عليه وسلم ، ومن بعـــده الصديــق وابــن الخطــاب ، ويعمل من أجل رفعة الإسلام ، ونشر مبادئه فــــى كـــل مكـــان ، اختلقوا الأكاذيب حوله وغزوا بها عقــول نفــر متعصبيــن جـــل ما يأخذونه من الإســلام الشــكليات ، ومــن ثــم اندفــع هــؤلاء المتعصبون ، وهـــم يحســبون أنـــهم حمـــاة الإســلام ، وأنـــهم يحسنون صنعا وقتلوا الخليفة الثالث عثمان بـــن عفـــان .

ويؤكد اعتقادنا أيضا ذلك التصعيد الخطـــير الـــذى حـــدث فى موقعة الجمل . فقد خرجت السيدة عائشـــة رضـــى الله عنـــها وطلحة والزبير مع نفر من الصحابة للمطالبة بــــدم عثمـــان .

ولم يكن على لينكر عليـــهم هـــذا الخـــروج ، بـــل كـــان يحس بأن مقتل عثمـــان روع المســلمين . إلا أنـــه كـــان يبحـــث عن فسحة من الوقت تعطيه فرصـــــة الانتقـــام مـــن القتلـــة دون أن يؤلب عليه المواقف وبخاصة أن القتلـــة ســـارعوا بالذوبـــان فى صفوف جيش على ، وســـاروا معـــه إلـــى العـــراق . وهـــم هناك "صاروا فى معقل قوتهم وعنجهيـــة قبائلـــهم ، فكـــان علـــى يرى بينه وبين نفسه أن قتلهم يفتح عليـــه بابـــا لا يســـتطيع ســـده بعد ذلك . . . فالمطالبون بإقامـــة حـــد الله علـــى قتلـــة عثمـــان معذورون لأنهم يطالبون بحق . . . وتقصـــير علـــى فـــى إقامـــة حد الله كان عن ضرورة قائمة ومعلومـــة"[1] . لقـــد فـــهم القعقـــاع بن عمرو موقف على ، وكذا موقـــف المطـــالبين بـــدم عثمـــان ، ولهذا قام بالوســـاطة بيـــن الطرفيـــن واســـتطاع أن يـــهدئ مـــن روع الجميع ، وأن يقنـــع الســـيدة عائشـــة وطلحـــة والزبـــير ، وبات كل فريق لا يرجو من صاحبـــه إلا الصلـــح .

إلا أن قتلة عثمان لـــم يرضـــهم هـــذا ، وتشـــاوروا فيمـــا بينهم فى إشعال نار الحرب بين الفريقيـــن خفيـــة دون أن يفطـــن

[1] من تعليق لمحب الدين الخطيب على العواصم من القواصم ، ص ١٦٨

إلى تدبيرهم أحد ، بحيث يظن كل فريـق أن الآخـر غـدر بـه[1]

إن قتلة عثمان بكامل إرادتـهم واصلـوا الخـروج علـى وحدة الصـف الإسـلامى ، وعملـوا علـى ترويـع المسـلمين وتفتيت وحدتهم . يقول ابـن العربـى "فلـم يتركـهم أصحـاب الأهواء – أى لـم يـتركوا عليـا وجيشـه ، وطلحـة والزبـير والسيدة عائشة ومن معهم على ما اتفقوا عليه مـن أمـر الصلـح – وبادروا بإراقـة الدمـاء واشـتجر بينـهم الحـرب وكـثرت الغوغاء ، كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا تقـف الحـال علـى بيان . ويخفى قتلـة عثمـان ، وإن واحـدا فـى الجيـش يفسـد تدبيره فكيف بـألف"[2] .

كان يمكن أن ينتهى الموقف فـى موقعـة الجمـل بعـودة أم المؤمنين عائشـة وطلحـة والزبـير رضـى الله عنـهم بعـد وضوح موقف على رضى الله عنـه . وكـان يمكـن ألا تكـون صفيـن بنتائجـها المروعـة ، لكـن المغـامرين ذهبـوا فـى مؤامراتهم إلى أبعد الحـدود .

وقبل أن نستعرض بعض ما حدث فـى صفيـن ، والتـى خلالها نما الخروج وظهر واضحا مع التحكيـم وبعـده ، دعونـا نتوقف قليلا مع نص يرد على بعض دعـاوى الخـارجين علـى عثمان رضى الله عنه ، لأنـهم فـى الأصـل هـم المصعـدون للمواقف ، والخارجون فيما بعد على الخليفـة الرابـع علـى بـن أبى طالب رضى الله عنه ، وهم أيضـا قـاتلوه .

يقول ابن العربـى "أمـا قولـهم جـاء عثمـان بمظـالم ومناكير فباطل . وأمـا ضربـه لعمـار وابـن مسـعود ومنعـه

---

[1] انظر تاريخ ابن كثير ، ج ٧ ، ص ٢٣٩

[2] العواصم من القواصم ، ص ١٥٩

عطاءه فزور ، وضربه إفك مثله ، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدا . . . وأما جمع القرآن فتلك حسنته العظمى وخصلته الكبرى ، وإن كان وجدها كاملة ، لكنه أظهرها ورد الناس إليها ، وحسم مادة الخلاف فيها ، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه[١] . . . وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل . . . . وقع بين أبى ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله فى زمان عمر ، فأعلم معاوية بذلك عثمان ، وخشى من العامة أن تثور منهم فتنة ، فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم ، و إنما هى مخصوصة ببعضهم ، فكتب إليه عثمان أن يقدم المدينة ، فلما قدم اجتمع إليه الناس فقال لعثمان أريد الربذة ، فقال له افعل ، فاعتزل ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته . . . . وأما رده الحكم فلم يصح ، وقال علماؤنا فى جوابه قد كان أذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عثمان لأبى بكر وعمر فقالا له : إن كان معك شهيد رددناه ، فلما ولى قضى بعلمه فى رده . وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان أباه ولا ينقض حكمه . . . . وأما معاوية فعمر ولاه وجمع له الشامات كلها ، وأقره عثمان . . . . وأما عبد الله بن كريز فولاه – كما قال – لأنه كريم العمات والخالات . وأما توليته الوليد بن عقبة فقد قال عثمان ما وليته لأنه أخى ، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه . . . . وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع غلامه إلى عبد الله بن أبى السرح يأمره بقتل حامليه ، فقد قال لهم عثمان أما أن تقيموا شاهدين على بذلك ، وإلا

[١] راجع نبذة عن جمع القرآن ، ص ١٢٣ فى كتابنا بحوث فى الفرق الإسلامية ج ١

فيمينى أنى ما كتبت ولا أمرت . وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب على خطه وينقش على خاتمه"[1] .

صفين والتحكيم

لا أحد ينكر أن معركة حدثت فى صفين سنة ٣٦،٣٧هـ بين على وأتباعه والمندسين فى جيشه من قتلة عثمان ، وبين معاوية وأتباعه من أهل الشام .

وكان من أسبابها أن عليا يرى أنه هو الإمام ؛ لأن البيعة تمت له بطريقة صحيحة من الذين بايعوا الصديق وعمر وعثمان ، وأيضا بالشورى من المهاجرين والأنصار[2] . وعلى من لم يبايعوا ، ومنهم معاوية ، أن يسارعوا بالمبايعة حفاظا على وحدة المسلمين ، وتأكيدا للالتفاف حول إمام واحد .

وقد أرسل رضى الله عنه برسالة إلى معاوية يؤكد فيها براءته من قتلة عثمان ويبين أنه بعد استقرار الوضع سيقبض عليهم ويحاكمهم .

بينما يصر معاوية على المطالبة بتسليم قتلة عثمان لأنه قتل مظلوما ، ويدعى أن البيعة لم تتم لعلى لتفرق أهل الحل والعقد فى الأمصار ، ويرى أنه بعد تسليم القتلة والاقتصاص منهم يجتمع المسلمون لاختيار الإمام .

---

[1] العواصم من القواصم ، ص ٧٧ وما بعدها

[2] راجع البيعة لعلى بن أبى طالب فى البداية والنهاية لابن كثير ، م ٤ ، ج ٧ ، ص ٢٤٦ . ويقال إن أول من بايعه طلحة بن عبيد الله ثم بايعه عامة الناس فى التاسع عشر من ذى الحجة سنة ٣٥هـ ، وفى رواية أخرى أنه نزل على إلحاح الناس وكان أول من بايعه الأشتر النخعى ثم بايعه الناس وذلك يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٣٥هـ

والتف أهل العراق حول علـــي وأيـدوه ، وواكــب هــذا التفاف أهل الشام حول معاوية وتــأييدهم لأى خطــوة يخطوهــا

وحدثت مناوشــات بيــن أهــل العــراق وأهــل الشــام ، "هؤلاء يدعون إلى على بالبيعة وتــأليف الكلمــة علــى الإمــام ، وهؤلاء يدعون إلى التمكين من قتلة عثمـــان ويقولــون لا نبــايع من يؤوى القتلة"[1] . والتقــى الفريقــان بعــد ذلــك فــى معركــة ضارية ، وحينما اقترب النصــر مــن جيــش علــى رضــى الله عنه لجأ معاوية وجيشه ، بمشورة عمـــرو بــن العــاص ، إلــى التحكيم حيث رفعوا المصـــاحف وطــالبوا بتحكيــم كتــاب الله . ولما رفض على التحكيم ألـــح عليــه بعــض مــن فــى جيشــه بقبوله[2] . وحينما أعلمهم أنها خدعــة رفضــوا كلامــه وأصــروا على قبول التحكيــم .

وقبله على مرغما نزولا علـــى رأيــهم ، وحينمــا طلــب تحديد من يقوم بهذه المهمة اختار علىّ الصحـــابى عبــد الله بــن عباس ، واختــــار معاويــة عمــرو بــن العــاص . إلا أن مــن طالبوا بقبول التحكيم فــى جيــش علــى رفضــوا عبــد الله بــن عباس ، وأصروا على أن يكون المحكم من جهتـــهم أبــا موســى الأشعرى وثانية نزل مرغما علــى رأيــهم .

وتقول روايات التاريخ أن الحكميـــن اتفقــا فيمــا بينــهما أن يعــزلا عليــا ومعاويــة درءا للفتنــة ، وتســكينا لأمـــــور

---

[1] العواصم ، ص ١٦٦

[2] ومنهم الأشعث بن قيس الكندى ومسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى – وكانوا فيما بعد أول من خرجوا على التحكيم – قالوا له : يا على أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان . . . والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك . قال : فاحفظوا عنى نــهيي اياكم . البداية والنهاية م ٤ ج ٧ ، ص ٢٩٨

المسلمين ، ويتركا الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يشاءون . وحينما حان وقت الإعلان عما اتفقوا عليه قدم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعرى باعتباره أفضل منه ، فأعلن أبو موسى ما اتفق عليه مع عمرو بن العاص ، وهو عزل على ومعاوية . وقام عمرو حيث وافق على عزل علىّ وإبقاء معاوية[1] .

وقد أثارت نتيجة التحكيم أولئك الذين طالبوا عليا بقبوله وحددوا أبا موسى ليكون محكما ؛ ولهذا رفضوا التحكيم وخرجوا من جيش على وراحوا يرددون لا حكم إلا لله ، وكفروا الحكمين وعليا ومعاوية وكل من وافق على التحكيم .

ونقول لقد حدث التحكيم بالفعل ، والخلاف فيه فى الإجابة على هذا السؤال ، هل غرر عمرو بن العاص بشريكه فى التحكيم ؟ وهل كان أبو موسى طيبا لدرجة السذاجة بحيث يسهل خداعه ؟ أم أن الصحابيين الجليلين كانا على مستوى المسئولية والمعرفة الواعية بما يقومان به ، وأن تقديرا خاصا لأبى موسى الأشعرى كان يحمله فى داخله عمرو بن العاص .

للإجابة دعونا ننصت لروايتين ، الأولى يقول بها أكثر المؤرخين ومنهم ابن كثير ، وهى تهمس فى آذاننا بما يلى :

١. إن عمرا بن العاص كان حريصا على أن يحصل على إقرار من أبى موسى بأن تكون الخلافة لمعاوية ، فلما أبى حاول أن يقنعه بأن تكون لابنه عبد الله بن عمرو بن العاص إلا أنه أبى أيضا . وحاول أبو موسى بدوره أن يحصل على

---

[1] راجع البداية والنهاية لابن كثير ، م ٤ ، ج ٧ ، ص ٣٠٩

إقرار من عمرو بن العاص بأن تكـــون الخلافــة لعبــد الله بــن عمر بن الخطاب إلا أنــــه أبــى . والمحـــاولات مــن الطرفيــن تؤكد وعيهما بخطورة الموقف وأهميـــة الاختيـــار ويقظتـــهما إلا أنها فى نفس الوقت تشير إلى ميل خاص مـــن عمـــرو لمعاويـــة.

٢. إن أبا موسى قال بصريح اللفظ "إنـــا قـــد نظرنـــا فـــى أمـــر هذه الأمة فلم نر أصلح لها ولا ألم لشعثها مـــن رأى اتفقـــت أنـــا وعمرو عليه" فهو يعلم القوم باتفاق حـــدث بينـــه وبيـــن عمـــرو وبعد دراسة واعيـــة متأنيـــة للموقـــف هدفـــها مصلحـــة الأمـــة ومفادها خلع على من الخلافة وخلع معاويـــة مـــن إمـــارة الشـــام وترك الأمر شورى بين المسلمين ليولـــوا مـــن يريـــدون . وقـــد وافقه عمرو بأن هذا حدث فعـــلا .

وباجتهاد خاص وبتطبيق كـــامل لمـــا اتفقـــا عليـــه ســـارع أبـــو موســـى بـــإعلان خلعـــه لعلـــى ومعاويـــة ، وبنفـــس الاجتـــهاد ولإحساس خاص بأن ولى دم عثمـــان هـــو الأولـــى بالخلافـــة ، وربما دفعا مفسدة أكـــبر – وهـــى تـــرك النـــاس فـــى ظـــروف صعبة – سارع عمرو بالموافقـــة علـــى خلـــع علـــى بـــن أبـــى طالب وتثبيت معاوية . والأمر بـــهذه الصـــورة يعنـــى أن الخلـــع لعلى يتجه إلى الخلافة لأنه كـــان خليفـــة بـــالفعل ، بينمـــا يتجـــه الخلع لمعاوية من الإمارة لأنه كان أمـــيرا علـــى الشـــام . وكـــان يمكن أن ينسحب تثبيت عمرو لمعاوية علـــى إمـــرة الشـــام لـــولا قوله فى معاوية "إنه ولى عثمان بن عفان والطـــالب بدمـــه وهـــو أحق الناس بمقامـــه" .

ومع أن الأمـــر فـــى كـــلا التصرفيـــن لـــم يخـــرج عـــن الاجتهاد الذى إذا أصاب فيه الإنسان فلـــه أجـــران ، وإذا أخطـــأ فله أجر واحد لقول الرسول صلـــى الله عليـــه وســـلم (إذا حكـــم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فلـــه أجـــران ، وإذا حكـــم فاجتـــهد ثـــم

أخطأ فله أجر)[1] ، إلا أنه كان من الأفضل لتماسك الأمة أن يتجه عمرو لنفس ما اتجه إليه أبو موسى . ولو أنه فعل لما حدث ما حدث ولانصاع على ومعاوية لنتيجة التحكيم ، ولما خرج من خرج على الإمام ، ولما تزاحمت الأحداث لتأتى بتلك النتائج المفزعة ليس فى الموقف إذن تغرير أو سذاجة ، وإنما اجتهاد من طرفى التحكيم أصاب أحدهما وأخطأ الآخر.

ويأتى سؤال لماذا لم ينزل على رضى الله عنه لحكم الحكمين ؟ والإجابة ببساطة تتلخص فى أنه لم يوافق على التحكيم فى البداية ، لأنه يحس أن فى الأمر شيئا ، ولأن الانتصار كان قريبا من جيشه ثم وافق تحت ضغط وتهديد من رموز الخوارج . ورفض أن يكون المحكم من جهته أبا موسى ثم وافق مرغما . ومع هذين الأمرين يعلم يقينا أنه لم يسع للخلافة ، وإنما هى التى سعت إليه وأنه وافق بعد إجماع من المسلمين ولا يزيل الإجماع إلا إجماعا مثله ، فلماذا إذن والحق معه يكون منه التنازل ؟

أما الرواية الثانية فتقول فى الحكمين أنهما كانا على مستوى المسئولية وأن عمرا بن العاص ، الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص) ، لم يغرر بأبى موسى الأشعرى . وأن الصحابيين الجليلين قدرا عواقب الأمور ، ولهذا اتخذا القرار الذى حسم الموقف بإرجاعه إلى دائرة محددة من أعيان الصحابة ، ليس فيهم معاوية أو عمرو.

---

[1] ذكره البخارى فى صحيحه عن عمرو بن العاص وعن أبى هريرة ، ك الاعتصام بالكتاب والسنة

سأل عمرو أبا موسى عما يقول فى هذا الأمر ، أى أمر الإمامة وخلافة المسلمين ، فقال أبو موسى أرى أنه فى النفر الذى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . وسأل عمرو أبا موسى عن وضعه ومعاوية فقال إن يستعن بكما ففيكما معونة وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما . واستجاب عمرو بن العاص لما قال أبو موسى[1] .

وللتوضيح دعونا نتابع التعليق التالى "من الحقائق ما إذا أسئ التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة . . . ومن ذلك حادثة التحكيم ، وقول المغالطين إن أبا موسى وعمرا اتفقا على خلع الرجلين فخلعهما أبو موسى واكتفى عمرو بخلع على دون معاوية . وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذ خليفة ، ولا هو ادعى الخلافة حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه ، بل إن أبا موسى وعمرا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية ، لأنه لم يكن خليفة ولم يقاتل على الخلافة ، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعى على الذين اشتركوا فى قتل عثمان . . . فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة . . . فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه لأنه لم يعط معاوية شيئا جديدا ولم يقرر فى التحكيم غير الذى قرره أبو موسى ولم يخرج عما اتفقا عليه معا ، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل ، وبقيت الشام

[1] انظر العواصم من القواصم ، ص ١٧٩

وما يتبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل ، وتعلقت الإمامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها"[1].

ونسأل إذا كانت هذه نتيجة التحكيم فلماذا إذا خرج من خرج على الإمام عليّ ، وقال لا حكم إلا لله وكفر عليا وعثمان ومعاوية وأبا موسى وعمرا وأصحاب الجمل وكل من قبل التحكيم ؟ !!

أعتقد أن قتلة عثمان هم أنفسهم الذين أشعلوا حرب الجمل وقتلوا طلحة[2] والزبير[3] ، وهم أنفسهم الذين شجعوا عليا للتحرك صوب الشام ، وأججوا نيران الفتنة حينما أحسوا باقتراب علي ومعاوية من تصفية الموقف .

وحينما نشبت الحرب عاتية بين الفريقين ثم اقترب علي من الانتصار لم يسعدهم هذا الاقتراب ، وانتهزوا فرصة طلب الجانب الآخر للتحكيم فضغطوا على الإمام على حتى يقبل . وحينما قبل خافوا أن يتفرغ لتأديبهم بعد صفين ؛ لعلمهم أنهم السبب في كل ما حدث ، ولهذا سارعوا برفض التحكيم والانفصال عن جيش علي واللجوء إلى حروراء واستعدوا لجولة أخرى .

يقول البغدادي "ثم إن الخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر ألفا . . . وزعيمهم يومئذ عبد الله بن كواء وشعث بن ربعي وخرج عليهم علي وناظرهم ووضحت حجته عليهم فاستأمن

---

[1] من تعليق للشيخ محب الدين الخطيب على العواصم من القواصم ، ص ١٧٧

[2] هو طلحة بن عبيد الله ويكنى بأبي محمد ، من المهاجرين الأولين ومن العشرة المبشرين بالجنة . شهد يوم الجمل ورماه فيه مروان بن الحكم بسهم فقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦ . راجع المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٢٨ ، دار المعارف ط ٤

[3] أحد العشرة المبشرين بالجنة ، قتله ابن جرموز يوم الجمل سنة ٣٦ هـ . نفس المرجع ص ٢٢٠

إليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان وانحاز الباقون منهم إلى النهروان"[1] .
ونوجز ما حدث بعد ذلك فى نقاط :
١. اتجه الباقون إلى النهروان وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية
٢. وهم فى طريقهم للنهروان التقوا بعبد الله بن خباب بن الأرت ، فقالوا له حدثنا حديثا سمعته عن أبيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى . فمن استطاع أن يكون فيها مقتولا فلا يكونن قاتلا"[2]. فشد عليه رجل منهم فقتله ثم بقر بطن جاريته الحامل .
٣. وحينما علم على رضى الله عنه بقتلهم لعبد الله بن خباب بن الأرت ، وبأفعالهم الشنيعة وعسكرتهم فى النهروان خرج إليهم بجيش قوامه أربعة آلاف ، وحينما اقترب منهم أرسل إليهم أن سلموا من قتل عبد الله بن خباب . فقالوا كلنا قتله ، ولئن ظفرنا بك قتلناك .
٤. قبل أن يقاتلهم على قام قيس بن سعد بن عبادة وأبو أيوب الأنصارى بمحاولات معهم لإرجاعهم إلى الصواب ، ودفعهم لتسليم القتلة ، فأصروا على موقفهم ومعاداتهم لعلى وخروجهم عليه .

[1] البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٥٧
[2] ذكر الحديث الشريف بألفاظ أخرى كثيرة ، راجع كنز العمال لعلاء الدين بن حسام الهندى ، ج ١١ ، ص ١٧١-١٧٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩

٥. أراد على رضى الله عنه أن يتعـرف علـى الأسـباب التـى دفعتهم للخروج ربما يستطيع حقن الدمـاء والتفريـق بيـن مـن يسهل عودته لصفوف المسلمين وبين مـن يصـر علـى العـداء ويشعل نيران الفتنة وينشر ضباب التفرقة بيـن المسـلمين .

وتختلف المصادر فيمن راح يسأل الخـوارج ويوضـح لـهم مـا أشكل عليهم ، حيث يذكر بعضـها أن عليـا أتـاهم وهـو مـع جيشه وراح يسألهم ويسـمع أسـئلتهم ويجيـب عليـها . بينمـا يذكر البعض الآخر أن الـذى ذهـب إليـهم هـو عبـد الله بـن عباس[1] . ولما كـانت الأولـى أكـثر توضيحـا للموقـف آثرنـا الاعتماد عليها فى نقل الحوار الذى دار بيـن علـى والخـوارج والذى منه تتضح الإجابات على هـذه الأسـئلة :

- لماذا منع على رضى الله عنه من سـبى نسـاء وذرارى مـن حاربوه فى موقعة الجمـل ؟
- ولماذا لم يكتب فى الرسالة المرسلة إلى معاويـة مـن أمـير المؤمنين واكتفى بذكر اسـمه ؟
- ولماذا قال للحكمين إن كنت أهلا للخلافـة فأثبتـانى ؟ وهـل كان يشك فى خلافتـه ؟
- ولماذا حكّم فى حق هو لـه ؟

"أتاهم على فى جيشه وبـرزوا إليـه بجمعـهم فقـال لـهم قبـل القتال ماذا نقمتم منـى ؟ . . .
فقالوا له أول ما نقمنا منك أنا قاتلنا بيـن يديـك يـوم الجمـل ، فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا مـا وجدنـا فـى عسـكرهم

---
[1] انظر ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله

من المـــال ومنعتنــا مــن ســبى نســائهم وذراريـــهم . فكيـف استحللت مالهم دون النساء والذريــــة ؟
فقال : إنما أبحت لكم أموالهم بدلا عما كانوا أغـــاروا عليــه مــن بيت مال البصرة قبل قدومــــى عليــهم . والنســـاء والذريـــة لـــم يقاتلونا وكان لهم حكم الإسلام بحكـــم دار الإســـلام ، ولـــم يكـــن منهم ردة عن الإسلام ، ولا يجـــوز اســـترقاق مـــن لـــم يكفـــر . وبعد لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة فــــى ســـهمه ؟
فخجل القوم من هـــذا .
ثم قالوا له : نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنيـــن علـــى اســـمك فى الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاويــــة ذلـــك .
فقال : فعلت مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم يـــوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو ، لو علمــــت أنـــك رســـول الله لما نازعتك ولكن اكتب اسمك واسم أبيـــك ، فكتـــب هـــذا مـــا صالح عليه محمد بن عبد الله وســـهيل بـــن عمـــرو . وأخـــبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لى منهم يومــــا مثـــل ذلـــك ، فكانت قصتى فى هذا مع الأبنـــاء قصـــة رســـول الله صلـــى الله عليه وسلم مع الآبـــاء .
فقالوا له : فلم قلت للحكمين إن كنـــت أهـــلا للخلافـــة فأثبتـــانى ؟ فإن كنت فى شك من خلافتك فغيرك بالشك فيـــك أولـــى .
فقال : إنما أردت بذلك النصفة لمعاويــــة . ولـــو قلـــت للحكميـــن احكما لى بالخلافة لم يرض بذلك معاويــــة . وقـــد دعـــا رســـول الله عليه السلام نصـــــارى نجـــران إلـــى المباهلـــة وقـــال لـــهم ﴿تعالوا نـــــدع أبناءنـــا وأبنـــاءكم ونســـاءنا ونســـاءكم وأنفســـنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علـــــى الكـــاذبين﴾ آل عمـــران - ٦١ ، فأنصفهم بذلك عن نفسه . ولو قـــــال أبتـــهل فـــأجعل لعنـــة

الله عليكم لم يرض النصارى بذلك . لذلك أنصفت أنا معاوية عن نفسي . . .
قالوا : فلم حكمت الحكمين فى حق كان لك ؟
فقال : وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، ولو شاء لم يفعل ، وأقمت أنا أيضا حكما . . . فهل عندكم شئ سوى هذا ؟ فسكت القوم وقال أكثرهم صدق والله"[1]

٦. اقتنع حوالى ثمانية آلاف من الخارجين بما قاله على رضى الله عنه وطلبوا التوبة والأمان ، وأبعدهم على عن جيشه . بينما بقى حوالى أربعة آلاف على عدائهم وعنادهم ، فقاتلهم على بجيشه فى النهروان حيث ألحق بهم هزيمة ساحقة "وقال على لأصحابه يومئذ اطلبوا ذا الثدية فوجدوه تحت دابته ورأوا تحت يده عند الإبط مثل ثدى المرأة فقال صدق الله ورسوله ، وأمر فقتل فهذه قصة المحكمة الأولى"[2]

وقد كان من أشد الناس خروجا على الإمام على رضى الله عنه الأشعث بن قيس الكندى ، ومسعر بن فدكى التميمى ، وزيد بن حصين الطائى . وقالوا له فى حرب صفين ، حينما رفع أصحاب معاوية المصاحف على أسنة الرماح وطالبوا بالتحكيم – القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف ، ثم طلبوا منه أن يوقف قائد جيشه الأشتر – الذى كان قاب قوسين أو أدنى من الانتصار – عن قتال جيش معاوية ، وهددوه إن لم يفعل يصير مصيره مثل ما حدث لعثمان رضى الله عنه .فامتثل على رضى الله عنه

---

[1] عبد القاهر بن طاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٥٨ ، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٣

[2] الفرق بين الفرق ، ص ٦١

لكلامهم ونفذ ما أرادوه ، وحينما انتهى التحكيـــم إلـــى نتيجـــة لا تروق لهم رفضوه وخرجوا علــــى الإمـــام علـــى قـــائلين : لـــم حكمت الرجال ، لا حكـــم إلا لله .

وكان على رأس الخارجين "عبد الله بـــن الكـــواء ، وعتـــاب بـــن الأعور ، وعبد الله بن وهب الراســـبى ، وعـــروة بـــن جريـــر ، ويزيد بن أبـــى عـــاصم المحـــاربى ، وحرقـــوص بـــن زهـــير البجلى المعروف بذى الثديـــة"[1].

لا حكم إلا لله .. وقفة قصـــيرة :

عرفنا أن المحكمة الأولى أصـــروا علـــى أن يقبـــل علـــى رضى الله عنه التحكيم الذى يطـــالب بـــه معاويـــة ، فلمـــا قبـــل وحكم من جهته أبا موسى ومـــن جهـــة معاويـــة حكمـــوا عمـــرا بن العاص رفـــض المحكمـــة حكـــم الحكميـــن وخرجـــوا علـــى الإمام على وهم يرفعـــون شـــعار "لا حكـــم إلا لله "[2] . وقـــد رد عليهم علىّ بقوله – كما هو مذكور فـــى نـــهج البلاغـــة ص ٨٢ – " كلمة حق أريد بها بـــاطل " .

نعم إنـــه لا حكـــم إلا لله ، ولكـــن هـــؤلاء يقولـــون : "لا إمرة إلا لله ، وأنه لا بد للناس من أمير بر أو فـــاجر يعمـــل فـــى إمرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلـــغ الله فيـــها الأجـــل ،

---

[1] الملل والنحل للشهرستانى ، ج ١ ، ص ١١٥

[2] يقال أن أول من قال بـــهذا هو عروة بن جدير أو ابن أدية ، وقيل يزيـــد بـــن عـــاصم المحاربى ، وقيل رجل من بنى يشكر كان مع على بصفين ثم بعد اتفاق القوم على التحكيم ركب فرسه وقتل واحدا من أصحاب على وواحدا من أصحاب معاويـــة ورفـــع عقيرتـــه بالشعار مع إعلانه البراءة من على ومعاوية – راجع التبصير فى الدين للأســـفراينى ص ٢٦

ويجمع به الفئ ، ويقاتل به العدو ، وتأمن بـــه السـبل ، ويؤخـذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بـر ويسـتراح مـن فـاجر" يقول الشهرستانى " كذبـوا علـى علـيّ رضـى الله عنـه مـن وجهين : أحدهما فى التحكيم أنه حكـم الرجـال ، وليـس ذلـك صدقا ، لأنهم هم الذيـن حملـوه علـى التحكيم . والثـانى إن تحكيم الرجال جـائز ، فـإن القـوم هـم الحـاكمون فـى هـذه المسألة وهم رجال ، ولهذا قال علـى رضـى الله عنـه " كلمـة حق أريد بها بـاطل "[1] .

ونحن نقول نعم الحاكم هو الله ، وهـو سـبحانه وتعـالى خير الحاكمين . ولكن مـا معنـى لا حكـم إلا لله ؟ هـل يـنزل سبحانه وتعالى مـن عليائـه ويقـف بيـن المتخـاصمين ؟ أم أن المقصود لا يحكم أحد فى أمـر مـن أوامـر الله أو نـهى مـن نواهيه أى إذا قضى الله ورسوله أمرا لـم يكـن لأحـد أن يقـول لماذا ؟ أم أن المقصود أن يبحـث القـوم فـى كتـاب الله وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم عن الحكم فـى القضيـة التـى هـم بصددها ، فإن وجـدوه طبقـوه بـلا تـردد ، وإذا لـم يجـدوه فليسألوا أهل الذكر وهم هنا العلمـاء والمتخصصـون كـل فـى دائرة تخصصه ، فعلم الدين يسـأل عنـه الفقـهاء والأصوليـون والمشتغلون بتفسير القرآن والسنة المطهرة وعلـم العقـائد وفقـه اللغة . . الخ ، فهم وحدهم يقدرون علـى الاجتـهاد فـى الـرأى المستأنس أولا وأخيرا بالقرآن الكريم والسـنة المطـهرة .

أعتقد أن الرسول صلى الله عليـه وسـلم أمـر بـالتبليغ . يقول الله سبحانه له ﴿يا أيها الرسول بلغ مـا أنـزل إليـك مـن ربك وإن لم تفعـل فمـا بلغـت رسـالته﴾ المـائدة – ٦٧ ، ولـم

[1] الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١١٦

يلتحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا بعد تأديته للأمانة على وجهها الأكمل ، يقول تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ المائدة - ٣ .

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن فقال (كيف تقضى ؟) فقال أقض بما فى كتاب الله . قال (فإن لم يكن فى كتاب الله ؟) قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال (فإن لم يكن فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) قال أجتهد رأيى . قال (الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] .

والله سبحانه وتعالى قضى أزلا ألا يظهر للناس فى دنياهم حتى يصح الابتلاء والاختبار والامتحان ، لأن أساس الابتلاء هو الإيمان بالغيب . ومعنى هذا أنه سبحانه لا ينزل ليحكم ، ولا يجوز إطلاقا للمؤمنين أن يكون لهم الخيرة من أمرهم فى حكم من أحكام الله سبحانه وتعالى ، ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ الأحزاب - ٣٦ .

فلا يجوز أن يتحاكموا فيما بينهم أو يتشاجروا فيقول البعض نقيم الصلوات الخمس ، ويقول البعض بل نخفضها إلى ثلاث ، ويقول البعض الآخر الأفضل إلغاؤها . ولا يجوز أن يقترح البعض أن يتوجه المسلمون فى صلاتهم إلى بيت المقدس بدلا من الكعبة المشرفة لأنه سبحانه يقول

---

[1] ذكره الترمذى فى صحيحه ، ج ٣ كتاب الأحكام ، حديث رقم ١٣٢٧ ، وأخرجه أبو داود فى كتاب الأقضية

لرسوله ﴿فول وجهك شـــطر المســـجد الحـــرام وحيثمـــا كنتـــم فولوا وجوهكـــم شـــطره﴾ البقـــرة - ١٤٤. ولا يجـــوز مثـــلا أن يتحاور الناس فيما بينهم فى تحريم مـــا أحلـــه الله أو تحليـــل مـــا حرمـــه الله .

وأوامر الله ونواهيه مسطورة فى كتابـــه العزيـــز ، الـــذى ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــه تـــنزيل مـــن حكيـــم حميد﴾ فصلت - ٤٢ ، ومبيـــنة وموضحـــة فـــى ســـنة الرســـول صلى الله عليه وسلم . والكتاب العزيز لا ينطـــق ، وكـــذا الســـنة ، ليقولا كذا وكذا من الأحكام ، وبالتالى فـــإن الضـــروة تقضـــى أن يبرز نفـــر مـــن النـــاس عـــالمون بكتـــاب الله وســـنة نبيـــه ليستخرجوا الأحكام كما أرادهـــا الله ورســـوله ويعرفوهـــا لبقيـــة الخلق ، ويوضحوها لهم حتى تطبـــق بطريقـــة صحيحـــة . فـــإذا لم يجدوا حكما لواقعة مـــا فـــى القـــرآن الكريـــم أو فـــى الســـنة المطهرة ، فعليهم بالاجتـــهاد المســـتأنس بالكتـــاب والســـنة مـــن أجل الصالح العام للمســـلمين .

وللتوضيح فقط إذا حدث شقاق بيـــن الزوجيـــن فحكـــم الله من أجل الإصلاح هو تحكيم حكمين أحدهما مـــن أهـــل الزوجـــة والآخر من أهل الزوج . ومع صـــدق النيـــة ، وإرادة الصلـــح ، والبحث الجاد عن أســـباب الشـــقاق ، والعمـــل الـــدءوب علـــى إزالة كل ما يعكر الصفـــو ييســـر الله لـــهما الأمـــر ، ويصـــلان بعونه إلى الحكم الملـــزم للزوجيـــن باتباعـــه وتنفيـــذه ، وبـــهذا يزول الشقاق ويحل الوئام وتســـود المـــودة والرحمـــة . ومثـــال آخر ، إذا وقع نزاع بين طائفتين مـــن المؤمنيـــن فـــإن حكـــم الله هو العمل على تحقيق الصلـــح بينـــهما ، ولا تصلـــح بينـــهما إلا فئة ثالثة تـــأمل فـــى تحقيـــق الأمـــن والســـلام ، وتجتـــهد فـــى

الوصول للحكم الملزم للطرفين والمحقق للصلح ، وتقسوا على الفئة التى تصر على الاستمرار في البغى والعدوان .

وواضح مما سبق أن الرجال تدخلوا فى أمر الزوجين من أجل الصلح ، وأنهم تدخلوا بين المتقاتلين من أجل الصلح فكيف يصح لنا أن نقول لا يحكم الرجال ؟ يقول الملطى " يقال لهم من أين قلتم لا حكم إلا لله وقد حكم الله الناس فى كتابه فى غير موضع ؟ قال عز وجل فى جزاء الصيد ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ المائدة - ٩٥ ، وقال تعالى ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما﴾ النساء - ١٢٨، وقال سبحانه ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾ النساء - ٣٥ ، يعنى الزوج والزوجة . . . فهذا محكم القرآن قد جعل أحكاما كثيرة إلى العلماء وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله ، فكيف قلتم لا حكم إلا لله ؟ فإن أبوا هذا الشرح ومحكم الكتاب ظهر جهلهم وإن قالوا به تركوا قولهم ورجعوا إلى الحق"[1].

لقد رفض على التحكيم أولا لأن جيشه بقيادة الأشتر اقترب من الانتصار ، ثم قبله وهو يعى أن معنى القبول فتح الباب أمام المحكمين ، وأن أبا موسى الأشعرى وعمرا بن العاص سيدرسان الموقف بتؤدة وروية ، وسيجتهدان للوصول للحكم الملزم للطرفين من أجل سلامة الأمة وأمنها لكن قاتلى عثمان بن عفان رضى الله عنه ومشعلى نار الفتنة

[1] التنبيه والرد لأبى الحسين الملطى ، ص ٤٧ ، ط المكتبة الأزهرية ١٩٩٣

يوم الجمل ومؤججيها فى صفين لا يرضيهم أن يتوقف القتال لأنهم يعلمون يقينا أن التوقف يكشف أمرهم ، ولهذا راحوا يشغبون من أجل بقاء الحرب بين الطرفين . فلما توقفت رغم أنفهم سارعوا بالخروج .

والحاكمية تكون فى أمر التشريع ، فليس لأحد من خلقه أن يحرم ما أحله الله أو يحلل ما حرمه الله ويلغى فرضا مما افترضه أو يفرض أمرا تعبديا من عند نفسه . وعلى رضى الله عنه لم يعترض على مبدأ الحاكمية بهذا المفهوم ، وإنما اعترض على ما يقصدونه من وراء الكلمة ولهذا قال " كلمة حق يراد بها باطل " . نعم لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلا لله ، ولا بد للناس من أمير بر أو فاجر . الناس هم الذين يختارون الحاكم وفق شروط خاصة ، وهم أعلم بأمور دنياهم ، وبما يصلح من شأنهم .

والحاكمية فى أمر التشريع " لاتنفى أن يكون للبشر قدر من التشريع أذن به الله لهم . . . وذلك يكون فى دائرة ما لا نص فيه أصلا ، وهو كثير . . . ومثل ذلك ما نص فيه على المبادئ والقواعد العامة دون الأحكام الجزئية والتفصيلية ومن ثم يستطيع المسلمون أن يشرعوا لأنفسهم بإذن من دينهم فى مناطق واسعة من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية غير مقيدين إلا بمقاصد الشريعة الكلية وقواعدها العامة "[1] .

وعلى رضى الله عنه حينما استجاب لرغبة القوم وقبل التحكيم كان مستحضرا لكل المعانى السابقة ، وكان عالما بأنه الإمام الحق ، وأنه أتى بالبيعة العامة من المسلمين

[1] د . يوسف القرضاوى ، بينات الحل الإسلامى ، ص ١٦٥ ، ط أولى ١٤٠٨ ، الناشر مكتبة وهبة

ولم يكن شاكا فى إمامتـــه ، ولـــم يعـــن بـــالقبول التنـــازل عـــن الإمامة لغيره ، وإنما فقط أراد أن يحقن الدمـــــاء ، ويفتـــح بـــاب الصلح على مصراعيه ليدخل من خلالـــه كـــل مـــن يهمـــه أمـــر المسـلمين .

٣

من ألقاب الخوارج

للخوارج ألقاب ، يعطى كل لقب معنى يضاف إلى المعنى العام . وقد عرفنا أنهم سموا خوارج لخروجهم على الإمام الحق الذى أجمعت الأمة على إمامته ، وهو هنا باعتبار الماضى البعيد على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وهم يرتضون تسميتهم بالخوارج إذا أريد بهذه التسمية الخروج فى سبيل الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام تنفيذا لقوله تعالى ﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما[1] كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾ النساء - ١٠٠ .

ومن ألقابهم الحرورية - بفتح الحاء والراء وتسكين الواو - نسبة إلى حروراء ، وهو مكان قريب من الكوفة نزل به الذين خالفوا عليا رضى الله عنه ، وانشقوا على جيشه ، وآثروا عداوته ثم حربه فيما بعد .

ويلقبون بالشراة - مفردها شار من شرى يشرى كرمى يرمى[2] ، وذلك لقولهم شرينا أنفسنا فى طاعة الله ؛ أى بعناها من أجل مرضاته ودفاعا عن دينه . وهم بدعواهم هذه

---

[1] أى أمكنة كثيرة للهجرة أو مهاجرا ومتحولا ينتقل إليه

[2] ويمكن أن تكون الشراة مأخوذة من الفعل شرى بكسر العين كفرح يفرح والاسم الشارى من شرى الشر إذا استطار وزاد وتفاقم ، وشرى الرجل إذا غضب ولج فى الخصومة ، فهم شراة لكثرة شرهم وغضبهم وشدة خصومتهم . راجع الصحاح للجوهرى ش ر ى

ينطبق عليهم فى رأيهم قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ البقرة - ٢٠٧ ، وقوله تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ التوبة - ١١١ .

ويلقبون بالمحكمة لمطالبتهم عليا بقبول التحكيم ، ثم رفضهم فيما بعد لهذا التحكيم وترديدهم شعار لا حكم إلا لله ويلقبون بالنواصب لأنهم ناصبوا عليا رضى الله عنه العداء وكفروه بقبوله تحكيم الرجال .

كما يلقبون بالمارقة لورود الحديث الشريف الذى يشير إلى مجيئهم فى زمن ما ، وإلى سرعة مروقهم من الدين ، والذى فيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[1] .

يقول أبو الحسن الأشعرى " والسبب الذى سموا له خوارج خروجهم على علىّ بن أبى طالب ، والذى سموا له محكمة إنكارهم الحكمين وقوله لا حكم إلا لله ، والذى سموا له حرورية نزولهم بحروراء فى أول أمرهم ، والذى سموا له شراة قولهم شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها بالجنة - ونقول قبل ذلك - وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية "[2]

---

[1] سبق تخريج الحديث الشريف بكامله

[2] مقالات الإسلاميين ، ج١ ، ص ١٢٦ ط ٣ إحياء التراث العربى ، بيروت

ولأحد كتاب الأباضية المعاصرين تعريف للخوارج يختلف عما اشتهر من تعاريف لهم ، فهو يقول بأنهم طوائف من الناس عاشوا فى زمن التابعين وتابعيهم رءوسهم نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر وعبد الله بن الصفار . وسموا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق وعن الأمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك ، فاستحلوا ما حرم الله من الدماء والأموال بالمعصية.

ويلخص الموقف منهم ما اشتهر من قول عن الإمام الربيع بن حبيب الإباضى صاحب المسند الصحيح حيث يقول " ادعوهم حتى يتجاوزوا القول إلى العمل ، فإن بقوا على قولهم فخطأهم محمول عليهم ، وإن تجاوزوه إلى الفعل حكمنا فيهم بحكم الله "[1] .

---

[1] انظر "مكانة الأباضية فى الحضارة الإسلامية" ، ص ٥٦ ، د . محمد صالح نقلا عن الفرق بين الإباضية والخوارج لابن اسحاق أطفيش ، ط ١٩٩٢ ، الاستقامة

٤

فرق الخـــوارج

تعددت فرق الخوارج وتشـــعبت ، حيـث انقسـمت الفرقـة الواحدة على نفسها لتكـون فرقـا متصارعـة . وهدفنـا يتلخـص فى محاولة التحديد الدقيق للفرق الأصول ، ثـم بعـض مـا تفـرع عن كل فرقة منها حتى نمكـن أنفسـنا مـن التعـرف علـى أهـم الأفكار والمعتقدات التى يجتمع حولها جمعهم ثـم مـا تفـردت بـه بعض الفرق ، ومن ثم يمكننا أن نقـول مثـلا أن فكـرة كـذا . . وئدت مع اختفاء الفرقة التى قالب بها ، وفكـرة كـذا . . عاشـت وانتقلت عبر الأزمنة المتطاولة لتصـل إلينـا .

وحسب الترتيب الاسـتردادى للمراجـع نجـد أبـا الحسـن الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٦هـ يقول إن " أصـل قـول الخـوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضيـة والصفريـة والنجديـة ، وكـل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنمـا تفرعـوا عـن الصفريـة "[١] .

وقد انقسمت النجدات على نفسـها فصـارت ثـلاث فـرق: النجدية والعطوية والفديكية . وتنسـب العطويـة إلـى عطيـة بـن الأسود الحنفى . . " ومن العطويـة أصحـاب عبـد الكريـم بـن عجرد ويسمون العجاردة "[٢] . وقد تفـرع العجـاردة إلـى خمـس عشرة فرقـة :

الأولى : تبرأ من الطفل قبـل البلـوغ ، وتـرى وجـوب دعوتـه بعد البلوغ ، ولا يكون مسلما إلا إذا وصـف الإسـلام .

---

[١] مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ١٠١

[٢] نفسه ج ١ ، ص ٩٣

الثانية : تقول بالقدر على مذهب المعتزلة ؛ أى لا قدر ، وإنما الأمر أنف والإنسان هو فاعل لأفعاله الاختيارية ، وليس لله فى أعمال العباد مشيئة ولا هو خالق لهذه الأعمال، وهذه الفرقة تسمى الميمونية .

الثالثة : الخلفية نسبة إلى رجل يقال له خلف ، وهذه تقول بأن الله هو خالق لأعمال العباد وهى واقعة تحت مشيئته ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

الرابعة : الحمزية ، وتقول بقتال السلطان ومن رضى بحكمه أو أعانه على المسلمين أو طعن فى الإسلام . وقولهم فى القدر مثل قول الميمونية إلا أنهم لا يذهبون إلى القول بقتل أهل القبلة أو استحلال مالهم .

الخامسة : الشعيبية ، وقولها على خلاف ما قالت به الميمونية

السادسة : الحازمية ، وهى تقول فى القدر بمثل سابقتها أى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

السابعة : المعلومية ، وسموا بذلك لأنهم يقولون من لم يعلم الله تعالى بكل أسمائه فهو جاهل به .

الثامنة : المجهولية ، وهى تقول بأن من علم الله ببعض أسمائه فقد علمه ولم يجهله .

التاسعة : الصليتة ، وهى تقول إذا استجاب الرجل لدعوتنا وأسلم صار من أوليائنا ، أما أبناؤه فليسوا كذلك إلا بعد أن يبلغوا ويدعوا ويستجيبوا .

العاشرة : الثعالبة ، وهى تقول بأن أطفال المشركين والمسلمين لا نواليهم ولا نعاديهم ولا نبرأ منهم حتى يبلغوا ويدعوا إلى الإسلام ، وهم مسلمون إذا أقروا به وكفار إذا أنكروا .

الحادية عشرة : وهـــي الأخنســية ، وهــم يحرمـــون الاغتيـــال ، وابتداء أحد من البغاة من أهـــل القبلـــة بقتـــال إلا بعـــد أن تعرفـــه ببغيه .
الثانية عشرة : المعيدية ، وهـــي تـــرى جـــواز أخـــذ زكـــاة مـــال العبيد إذا صاروا أغنياء ، وإعطائهم الزكـــاة إذا كـــانوا فقـــراء .
الثالثة عشرة : الشيبانية ، وهي تقول بـــأن الولايـــة والعـــداوة مـــن صفات الذات لله تعالى لا مـــن صفـــات الفعل[1] .
الرابعة عشرة : الرشـــيدية ، ويســـمون أيضـــا العشـــيرية ، وقـــد كانوا يؤدون لما سقى من مياه العيون والأنـــهار نصـــف العشـــر .
الخامسة عشرة : المكرمية ، وتقـــول بـــأن تـــارك الصـــلاة كـــافر لأنه جاهل بالله ، مثل ذلك مرتكـــب الكبـــيرة .

الأصول إذا أربعة ، وقد انقسم أحـــد الأصـــول – النجـــدات – إلى ثلاث فيصير المجمـــوع ســـت فـــرق . وقـــد تفـــرع عـــن العطوية العجاردة أصحاب عبد الكريـــم بـــن عجـــرد ، والآخـــرون بدورهم تفرعوا إلى خمـــس عشـــرة فرقـــة ، فيصـــير المجمـــوع عشرين فرقـــة أو إحـــدى وعشـــرين إذا أضفنـــا أصحـــاب عبـــد الكريم قبل التفـــرع .

ويمضى أبو الحسن الأشـــعرى ليضيـــف فرقـــة الفديكيـــة – أصحاب أبى فديك – وفرقة أخرى تقول " ما كـــان مـــن الأعمـــال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاســـم الـــذى لزمـــهم بـــه الحـــد ، وليس يكفر بشئ ليس أهله بـــه كـــافرا ، كالزنـــا والقـــذف ، وهـــم قذفة زناة . وما كان من الأعمال ليس عليـــه حـــد كـــترك الصـــلاة والصيام فهو كافر"[2] . وأزالوا اسم الإيمان فـــى الوجـــهين جميعـــا

---

[1] صفات الذات يوصف الله سبحانه وتعالى بها ولا يوصف بضدها مثل القدرة والعلم فلا نستطيع أن نقول إنه لم يقدر وإنه لم يعلم . أما صفات الفعل فيوصف بها وبضدها مثل الرزق والإعطاء نقول رزق فلانا ولم يرزق فلانا ، وأعطى فلانا ولم يعط فلان .
[2] مقالات الإسلاميين ج ١ ، ص ١٠١

والأشـــعرى يقســم الأباضيـــة إلـــى : الحنفيـــة واليزيديــــة وأصحاب الإبـــاضى .

وهناك أيضا من فرق الخـــوارج البيهســـية أصحـــاب أبـــى بيهس . وقـــد تفرعـــوا إلـــى العرفيـــة ، وإلـــى أصحـــاب شـــبيب النجرانى ، وإلى أصحـــاب التفســير ، وهـــم يزعمـــون " أن مـــن شهد على المسلمين لم تجز شـــهادتهم إلا بتفســير الشـــهادة كيـــف هى . . . ولو أن أربعة شهدوا على رجل منـــهم بالزنـــا لـــم تجـــز شهادتهم حتى يشهدوا كيـــف هـــو . وهكـــذا قـــالوا فـــى ســـائر الحـــدود "[1] .

ويستمر الأشعرى فـــى تعديـــد فـــرق الخـــوارج لتتجـــاوز عنـــده الثلاثين[2] .

ويذكـــر أبـــو الحســين الملطـــى المتوفـــى ســـنة ٣٧٧ أن الخوارج خمس وعشرون فرقة . وهـــو لا يفـــرق بيـــن الأصـــول والفروع . إلا أننا نلاحظ أنه يصدرها بالأزارقـــة الذيـــن يعتـــبرهم أصعب الخوارج وأشرهم فعـــلا وأســـوأهم حـــالا . ثـــم الصفريـــة والإباضية والنجدات . ثم تتابعت الفرق والتـــى نحســـبها متفرعـــة عن الفرق الأربع الســـابقة[3] .

بينما يذكر عبد القاهر بن طـــاهر البغـــدادى المتوفـــى ســـنة ٤٢٩ أن فـــرق الخـــوارج عشـــرون فرقـــة يحددهـــا بـــالأصول التاليـــة:

المحكمـــة الأولـــى ، والأزارقـــة ، والنجـــدات ، والصفريـــة ، والعجاردة ، المنقسمة إلـــى ســـت عشـــرة فرقـــة ، ثـــم الإباضيـــة المنقسمة إلى حنفية وحارثيـــة ويزيديـــة[4] .

---

[1] المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١١٣

[2] المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٨٦ - ١٣١

[3] انظر التنبيه والرد ، ص ١٧٨

[4] راجع الفرق بين الفرق ، ص ٥٤

أما الشهرستانى فيضيف إلى الأصول التى ذكرها البغدادى البيهسية والثعالبة ، حيث يقول " وكبار الفرق منهم: المحكمة والأزارقة والنجدات والبيهسية والعجاردة والثعالبة والأباضية والصفرية ، والباقون فروعهم "[1]

ونلاحظ أن العدد تجاوز عند البغدادى ما حدده . ولا يهم كثيرا هذا التجاوز ، وإنما المهم أن نعلم أن أصول فرق الخوارج كانت فى الغالب غير متجاوزة للثمان ، بينما تعددت الفروع لتزيد عن العشرين . وسبب التجاوز أو الانقسام يكمن فى الدرجة الأولى فى طبيعة الخوارج والسمات التى تميزهم عن غيرهم ، والتى ذكرنا بعضها قبل ذلك[2] . ونلاحظ أيضا أن الذى دعا الشهرستانى إلى اعتبار البيهسية من كبار الفرق عند الخوارج كثرة تفرعها .

أما الثعالبة فإن الأشعرى ، وهو الأسبق من الناحية التاريخية ، يعتبرها متفرعة عن فرقة العجاردة .

ونخلص مما سبق أن كبار فرق الخوارج أو بتعبير آخر الفرق الأصول هى المحكمة الأولى ، وقد عرفنا بها فيما سبق[3] ، ثم الأزارقة والإباضية والنجدات والصفرية والعجاردة[4] وفيما يلى نتعرف بإيجاز على كل فرقة مع أهم أفكارها ومعتقداتها .

---

[1] الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١١٥

[2] راجع أهم سمات الخوارج

[3] راجع صفين والتحكيم

[4] فيما سبق عرفنا أن العجاردة تفرعت إلى خمس عشرة فرقة ، وعرفنا أهم ما يميز كل فرقة وأن العجاردة فى الأصل تفرعت عن العطوية المتفرعة أصلا عن النجدات ، ولهذا لا نحتاج للحديث عنها مرة ثانية .

البـــحث السابـــــــع

الأزارقـــــــــة

١

الانتماء وبعض أفكارها ومعتقداتها

ينسبون إلى نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى البكرى المكنى بأبى راشد . كان أميرا لقومه وفقيها ، وهو من أهل البصرة ، وصحب عبد الله بن عباس رضى الله عنه . كان منذ البدء من أنصار الثورة على عثمان رضى الله عنه ، ومن الموالين لعلى بن أبى طالب قبل التحكيم ، وخرج عنه بعد قبول على رضى الله عنه للتحكيم . بايعه أتباعه أميرا لهم وسموه أمير المؤمنين . عرف عن أتباعه أنهم كانوا من أكثر الخوارج عددا ، وأشدهم قوة ، وأكثرهم تعصبا و ألدهم خصومة لمن خالفهم .

خرج نافع مع جيشه الذى جاوز العشرين ألفا من البصرة إلى الأهواز وكرمان وغيرها من بلاد فارس فى أيام عبد الله بن الزبير ، ومعه من أمراء الخوارج عطية بن الأسود الحنفى ، وعبد الله بن الماحوز ، وعمرو بن عمير العنبرى ، وقطرى بن الفجاءة ، وعبيدة بن هلال اليشكرى ، وصخر بن حبيب التميمي وصالح بن مخراق العبدى وعبد ربه الكبير والصغير[١] . وتتابعت انتصارات جيشه ، حيث قتلوا مسلم بن عبيس ، وهزموا أصحابه ، وهزموا عثمان بن عبد الله بن معمر التميمى وأصحابه ، وحارثة بن بدر العتابى مع جيشه الكبير . ثم خرج المهلب بن أبى صفرة فى جيش كبير بتكليف من عبد الله بن الزبير فى مكة ، وظل فى حرب

[١] راجع الملل والنحل للشهرستانى ، ج ١ ، ص ١١٩

استمرت تسع عشرة سنة إلى أن انتصر على الأزارقة في أيام الحجاج .

يقول الشهرستاني " أنفذ إليهم عبد الله بن نوفل – والي البصرة من قبل عبد الله بن الزبير في مكة – بصاحب جيشه مسلم بن عبيس بن كريز بن حبيب فقتله الخوارج وهزموا أصحابه ، فأخرج إليهم أيضا عثمان بن عبد الله بن معمر التميمي فهزموه ، فأخرج إليهم حارثة بن بدر العتابي في جيش كثيف فهزموه .

وخشي أهل البصرة على أنفسهم وبلدهم من الخوارج فأخرج إليهم المهلب بن أبي صفرة فبقي في حرب الأزارقة تسع عشرة سنة إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج . ومات نافع قبل وقائع المهلب مع الأزارقة ، وبايعوا بعده قطري بن الفجاءة وسموه أمير المؤمنين "[1] . وقيل كانت وفاة نافع سنة ٦٣هـ

وينقل ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ج ٨ ، ص ٢٨١ عن ابن جرير ما يفيد أن نافع بن الأزرق قتل سنة ٦٥ وتولى رياسة الخوارج بعده عبيد الله بن ماحوز ، ولما قتل بن ماحوز أمر الخوارج عليهم قطري بن الفجاءة . ويذكر البغدادي ما يفيد أن المهلب وبنيه وأتباعه ظلوا في حرب ضروس ضد الأزارقة والذين تشتتوا فيما بعد؛ حيث فارق عبد ربه الكبير بجيش قوامه سبعة آلاف رجل قطري بن الفجاءة ؛ وكذلك فارق قطريا عبد ربه الصغير بجيش قوامه أربعة آلاف رجل . وقد ساعد هذا التفرق المهلب على هزيمة جيش قطري في كرمان والري وتم قتله في طبرستان وهزيمة جيشه ؛ كما ساعد على مطاردة جيش عبد ربه الكبير وتم قتله

[1] الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٢٠

" وبعث المهلب بابنه يزيد إلى عبـــد ربـــه الصغـــير فـــأتى عليـــه وعلى أصحابه . . . وطهر الله بذلـــك الأرض مـــن الأزارقـــة "[1]

بعض أفكار ومعتقدات الأزارقـــة

١. يقولون بكفر مرتكب الكبيرة وخلوده فـــى النـــار .
٢. وأن ديار مخالفيهم ديار كفر ، وأن مخالفيهم مـــن هـــذه الأمـــة مشـــركون .
٣. وأن كل المعاصى كبائر ويخلد مرتكبها فـــى النـــار[2] .
٤. وهم يوجبون امتحان من قصد عســـكرهم وادعـــى أنـــه منـــهم بأن يدفعوا إليه بأسير مـــن أعدائـــهم ويـــأمروه بقتلـــه فـــإن فعـــل صدقوه وصار منهم ، وإن لـــم يفعـــل اتـــهموه بالنفـــاق والشـــرك وقتلوه .
٥. وهـــم يســـتبيحون قتـــل نســـاء مخالفيـــهم وقتـــل أطفالـــــهم ، ويقطعون بأن أطفال مخالفيهم مخلدون فـــى النـــار[3] .
٦. وقد كفروا عليا لقبوله التحكيـــم وقـــالوا إنـــه الـــذى نـــزل فـــى أمره قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فـــى الحيـــاة الدنيـــا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألـــد الخصـــام﴾ البقـــرة - ٢٠٤.
٧. وصوبوا قتل عبد الرحمن بن ملجـــم للإمـــام علـــى رضـــى الله عنه ، وادعوا أنه الذى نزل فـــى شـــأنه قـــول الله تعـــالى ﴿ومـــن الناس من يشرى نفسه ابتغـــاء مرضـــاة الله والله رءوف بالعبـــاد﴾ البقـــرة - ٢٠٧.

---

[1] الفرق بين الفرق ، ص ٦٥
[2] راجع مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ٨٧
[3] راجع الفرق بين الفرق للبغدادى ، ص ٦٣

٨. وكفرو عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم جميعا ، بل وسائر المسلمين وحكموا بخلودهم فى النار .
٩. وتبرءوا من القعدة عن القتال ، وقالوا " إن القعدة ممن كان على رأيهم عن الهجرة إليهم مشركون "[١] .
١٠. والأزارقة لا يجوزون التقية لا فى القول ولا فى العمل .
١١. ويقولون بجواز أن يبعث الله نبيا يعلم أنه يكفر بعد نبوته أو كان كافرا قبل البعثة .
١٢. وهم يسقطون حد الرجم عن الزانى بدعوى أن القرآن لم يذكره .
١٣. كما يسقطون حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال أما من يقذف المحصنات فيجب عليهم الحد[٢] .
١٤. وقد استحلوا أخذ أمانات الغير حيث اعتبروهم مشركين لا ينطبق عليهم قوله تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ النساء - ٥٨ .
١٥. ويقطعون يد السارق دون الالتزام بالنصاب الذى حدده الشرع .
١٦. " وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام فى حيضها ، وقال بعضهم لا ولكن تقضى الصلاة إذا طهرت كما تقضى الصيام "[٣] .

---

[١] نفس المرجع والصفحة
[٢] راجع الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٢٠
[٣] ابن حزم ، الفصل ، ج ٤ ، ص ١٤٤

١٧. وقد أقروا مبدأ الاستعراض أى قتل كل من يعترضهم من المخالفين . ومع هذا لا يبيحون قتل أهل الذمة حفاظا منهم كما يقولون على ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونعتقد أن أميز ما يميزهم هو اعتبار دار مخالفيهم دار كفر ، وتكفير المخالفين لهم ، والقاعدين عن نصرتهم واستحلال دمائهم وأموالهم واستباحة قتل نسائهم وأطفالهم ، وقتل كل من يعترض طريقهم ، واعتبار كل معصية كبيرة وكل كبيرة يكفر مرتكبها كفر ملة ويخلد فى النار . كما يميزهم الاستهانة ببعض ما شرعه الله سبحانه وتعالى وبينه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

فإذا وضعنا ما يقول به الخوارج الأزارقة فى مقابلة مع أقوال خوارج اليوم من تكفير واستحلال واستعراض واستباحة واستهانة ، وجدنا أنفسنا نميل إلى اعتبار فكر خوارج اليوم امتدادا أصيلا لفكر الخوارج الأزارقة .

وقفة قصيرة

لقد كان بودى ألا أعقد هذه المقارنة ، أو أحكم هذا الحكم حتى لا أتهم بالسير فى ركاب السلطة ، وهى أبسط ما يوجه من تهم من خوارج اليوم إلى من يمس أمرهم ولو من بعيد .

ويعلم الله وحده أننى أحاول أن التزم بالموضوعية قدر الاستطاعة ، كما يعلم عز وجل أن دافعى الوحيد هو الإسلام والأمة الإسلامية ، وبالذات بلدى مصر التى يحتضنها عقلى وقلبى ، مصر الإسلام والحضارة والعزة والأمل ، مصر الحب والسكينة والأمن .

إن أعداء الإسلام يعلمـــون أن قــوة المســلمين هــى مــن نتاج وحدتهم ، وفهمهم الصحيح والســهل للقــرآن الكريــم والســنة المطهرة ، ونتيجـــة لارتباطــهم الواعــى فــى أقوالــهم وأفعالــهم بعقائد الإسلام وقيمه وأخلاقـــه وعباداتـــه ومعاملاتـــه . ولـــهذا لا يترددون فى استخدام كل ما لديهم مـــن مكــر وخديعــة وأســاليب كثيرة ممقوتـــة وأمــوال باهظـــة لتفتيــت هــذه الوحــدة ، ونشــر الضباب الكثيف حول القرآن الكريــم والســنة المطــهرة ، وإبعــاد المسلم عن الفهم الواعى لدينه ، والعمل الدءوب علـــى إحيــاء مــا اندثر من مفاهيم متشددة تــبرأ منــها ســماحة الإســلام وبســاطته ولينه وعفوه . يقـــول ســبحانه لرســوله صلـــى الله عليــه وســلم ﴿فبما رحمة من الله لنـــت لـــهم ولـــو كنــت فظـــا غليــظ القلــب لانفضوا من حولك فاعف عنـــهم واســتغفر لـــهم وشـــاورهم فـــى الأمر فإذا عزمت فتوكـــل علـــى الله إن الله يحـــب المتوكليـــن﴾ آل عمران - ١٥٩ . ويقـــول لرســـوله ﴿فذكـــر إنمـــا أنـــت مذكـــر ۞ لست عليهم بمصيطـــر﴾ الغاشـية - ٢١ - ٢٢ .

إن التقية فى الأقوال والأعمـــال يلتزمـــها أعـــداء الإســـلام مع المسلمين ، فهم يظهرون الـــود والمحبـــة والتســـامح والخـــوف على قيم الأديان ، وبخاصة القيـــم الإســـلامية ، ويتظـــاهرون بمـــد يد العون فى الملمـــات ، والوقـــوف بجـــانب المســـلمين . وخلـــف ستار حركتهم الظاهرة يدبرون فـــى الخفـــاء ، ويكيـــدون للأمـــة ، ويبذرون بذور الشقاق ، وينمـــون عوامـــل الاختـــلاف ، ويحيـــون كل ما يؤدى إلى الشجار والعنـــف والإرهـــاب .

وبعـــض بنـــى قومـــى - ســـامحهم الله - يســـتجيبون ، بإرادتهم وبغـــير إرادتـــهم ، لمكـــر الثعـــالب ، ويقعـــون فريســـة للخديعة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعـــا ؛ حيـــث يســـارعون إلى تكفير المجتمـــع ، واســـتحلال الدمـــاء والأمـــوال ، والابتعـــاد

عن الوظائف الحكومية لأن رواتبها من مال حرام ومديروها من الكفار . . . الخ . وهم بهذا يعيدون نفس الأفكار التي روجها خوارج الماضي السحيق وبالذات الأزارقة .
وسنتوقف قليلاً لنناقش الدعاوى القديمة الجديدة . إلا أنني قبل المناقشة أسارع برجاء :
أرجو إخوتي أن تتريثوا قليلا ولا تتسرعوا في إطلاق الأحكام فالإسلام الحق بقيمه وعقائده وشرائعه يسع الجميع . والاختلاف في الرأى لا يفسد للود قضية . ومن الضياع للجميع أن نستجيب لأعداء الإسلام ونحن نحسب أننا نتحرك باسم الإسلام ومن أجله ؛

أرجو أن نلتزم جميعا بدين الله ، يقول سبحانه ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ۞ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ۞ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ آل عمران - ١٠٣ - ١٠٥ .
ومن دين الله التيسير والتبشير ، يقول صلى الله عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا)[١] . وفي حديث عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا)[٢] . ومن التيسير الابتعاد عن التشدد لأن التشدد يؤدي إلى الهلاك ، حيث يقول

[١] ذكره البخارى فى صحيحه ، ج ١ ، ك العلم ، ص ٢٤ عن أنس . وذكره مسلم فى صحيحه ، ج ٢ ، باب الأمر بالتيسير ، ص ٧٠ عن أبى موسى
[٢] ذكره مسلم ، ج ٢ ، ص ٧٠ نفسه

الرسول عليه الصلاة والسلام (هلك المتنطعون) ثلاثا ، أى المتشددون فى أمور دينهم ودنياهم ، والحديث رواه مسلم فى صحيحه . ومن التيسير عدم المبالغة ، وبخاصة فى العبادة حيث يقول صلى الله عليه وسلم (سددوا وقاربوا ويسروا فإنه لن يدخل الجنة أحدا عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله عز وجل منه برحمة . واعلموا أن أحب العمل إلى الله عز وجل أدومه وإن قل)[1] . ولنتذكر فى هذا المجال أولئك النفر الذين ذهبوا إلى بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدف التعرف على عبادته وحينما أخبروا بها تقالوها ؛ أى حسبوها قليلة ، ثم قالوا وأين نحن من رسول الله صلى عليه وسلم لقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ثم عزم الأول على صيام نهاره ، والثانى على قيام ليله أبدا فى العبادة ، وعزم الثالث على عدم التزوج أى اعتزال النساء . وحينما علم الرسول بأمرهم لم يقرهم على ما نووا ، بل دفعهم إلى التيسير الذى هو من أهم سمات الدين الإسلامى . ولنقرأ معا الحديث الشريف الذى يرويه البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال (جاء ثلاثة رهط – والرهط من ثلاثة إلى عشرة ، ويقال إن الثلاثة هم على بن أبى طالب وعثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو بن العاص – إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى فلما أخبروها كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .
قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبدا
وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر
وقال أخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

[1] ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده ، ج ٦ ، ص ١٢٥ عن عائشة رضى الله عنها

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)

وليس التعصب من الإسلام . " والتعصب من العصبية والعصبية أن يدعوا الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين "[1]. نعم من حق المسلم أن يأخذ بيد أخيه المسلم ، فإن كان مظلوما عمل على نصرته ، وإن كان ظالما أخذ بيده ليبعده عن الظلم . أما أن يعينه على الظلم فهذا هو التعصب . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى ردى فهو ينزع بذنبه) وقد سئل رسول الله عن العصبية فقال (أن تعين قومك على الظلم) ، وقال صلى الله عليه وسلم (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) [2] ، ولنتذكر جميعا أننا أبناء آدم وحواء ، وأن المطلوب هو التآلف لا التنافر ، وأن الأكرم هو الأتقى . يقول سبحانه ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ الحجرات - ١٣ .

---

[1] لسان العرب لابن منظور ، ج ٤ ، ص ٢٩٦٦ ع ص ب

[2] انظر فيما يتعلق بالأحاديث التى تتحدث عن العصبية عون المعبود ، شرح سنن أبى داود م ١٣ ص ٢٤ - ٢٧

٢

مناقشة موجزة لبعض دعاوى أزارقة الأمس واليوم

١. تكفيرهم لعدد كبير من الصحابة

تكفيرهم لعدد كبير من الصحابة الأطهار ، وفي مقدمتهم عثمان بن عفان وعلي ، رضي الله عنهم جميعا مخالف للقرآن الكريم والسنة المطهرة . فالقرآن الكريم يحدد مكانتهم عند الله تعالى حيث يقول ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ الفتح - ١٠ ، ويقول ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ الفتح - ١٨ ، ويقول ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ الفتح - ٢٩ .

والسنة النبوية تنهى عن سب الصحابة وتبين عظم قدرهم ، ومنهم بلا شك عثمان وعلي رضي الله عنهما ، حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا أحدا من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) رواه مسلم ، وهناك أحاديث كثيرة تبين علو منزلة عثمان بن عفان ، منها ما يرويه مسلم في

صحيحه عن عائشة رضى الله عنـها قـالت : كـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا فـى بيتـه كاشـفا عـن فخذيـه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلـك الحالـة فتحـدث . ثـم استأذن عمر فأذن له وهـو علـى تلـك الحالـة فتحـدث . ثـم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وسـوى ثيابه فدخل فتحدث . فلما خرج قـالت عائشـة : دخـل أبوبكـر فلم تهش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهش لـه ولـم تبالـه ، ثم دخل عثمان فجلست وسـويت ثيـابك فقـال صلـى الله عليـه وسلم (ألا أستحى من رجل تستحى منـه الملائكـة) ومنـها مـا يرويه أبو موسى الأشعرى حيث قال: "بينمـا رسـول الله صلـى الله عليه وسلم فى حائط من حائط المدينـة وهـو متكـئ يركـو بعود معه بين المـاء والطيـن إذ اسـتفتح رجـل فقـال (افتـح وبشره بالجنة) قال : فإذا أبو بكر ففتحت لـه وبشـرته بالجنـة ، ثم استفتح رجل آخر فقال (افتح وبشـره بالجنـة) قـال: فذهبـت فإذا هو عمر ففتحت له وبشـرته بالجنـة ، ثـم اسـتفتح رجـل آخر قال : فجلس النبـى صلـى الله عليـه وسـلم فقـال (افتـح وبشره بالجنة على بلوى تكون) قال فذهبـت فـإذا هـو عثمـان بن عفان قال : ففتحت وبشرته بالجنـة " رواه مسـلم .

وورد فى الصحيحين عن سعد بن أبـى وقـاص رضـى الله عنه قال : قال رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم لعلـى (أنت منى بمنزلة هارون من موسـى إلا أنـه لا نبـى بعـدى) . ويروى البخـارى ومسـلم مـن حديـث سـهل بـن مسـعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال يـوم خيـبر (لأعطيـن الرايـة غدا رجلا يحـب الله ورسـوله ويحبـه الله ورسـوله) قـال : " فتطاولنا لها فقال (ادعوا لى عليا) فأتى بـه أرمـد فبصـق فـى عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليـه ". وممـا أخرجـه مسـلم

من حديث سعد بن وقاص لما نزلت الآية الكريمة ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ آل عمران - ٦١ ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال (اللهم هؤلاء أهلي) .

والسؤال كيف يوصم بالنفاق من هذه منزلته عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم ؟!! وكيف يكون من ألد الخصام لله ولرسوله من يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ؟!! إن عثمان وعليا من العشرة المبشرين بالجنة[1] وقد لحق الرسول بالرفيق الأعلى وهو عنهم راض ، ولهما السبق في الدخول في الإسلام والدفاع عن جوهره والعمل على نشره ، وإمامتهما لم تنعقد إلا بإجماع المسلمين والإجماع لا يفضه إلا إجماع مثله ، فأين هو الإجماع الذى يلغى إمامتهما ثم يكفرهما ؟

إن الحكم عليهما بالكفر اعتداء على الله ورسوله وتطاول على الصحابيين الجليلين . يقول أبو الحسين الملطى لهؤلاء المعتدين من الأزارقة وغيرهم على الإمام عثمان وعليّ "أخبرونا الآن عن عثمان وعلى رضى الله عنهما أليسا كانا وليين للمسلمين فى الأصل بإجماع لا اختلاف فيه عندكم وعند كل الناس ؟ فإن قالوا لا ما كانا وليين للمسلمين ، تجاهلوا وردوا الإجماع . وإن قالوا نعم قد كانا مؤمنين وليين للمؤمنين ثم كفرا ، يقال لهم فالإجماع على ولايتهما

[1] وبقية العشرة هم أبوبكر وعمر وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ، راجع المسند لأحمد بن حنبل ، ج ١ ، ص ١٩٣ وصحيح الترمذى الحديث رقم ٣٧٤٨

وإيمانهما ثـــابت حتــى يجــئ إجمــاع مثلــه فــيزيل ولايتــهما وإيمانهما ، ويثبت كفرهما ، فلا حجة لهم بعــد هــذا البيــان فــى تكفيرهمـا"[1] .

٢ . عبد الرحمن بن ملجم ممــدوح عندهــم

وهم إذ يمدحون عبــد الرحمــن بــن ملجــم قــاتل علــى رضى الله عنه ، ويقولــون إنــه المــراد بقولــه تعــالى﴿ومــن النــاس مــن يشــرى نفســه ابتغــاء مرضــات الله والله رءوف بالعباد﴾ البقرة - ٢٠٧ ، يتناقضون مع قــول الرســول صلــى الله عليه وسلم (أشقى النـــاس عــاقر الناقــة - أى ناقــة صـــالح - والذى يخضب من هذا هذه) - أى والـــذى يضربــك يــا علــىّ على رأسك فيسيل الدم منها ليصبغ لحيتك . فقــد ســوى رســول الله صلى الله عليه وســلم فــى الشــقاوة والطــرد مــن رحمتــه تعالى بين من عقر ناقة صـــالح وبيــن قــاتل علــى رضــى الله عنه ، فكيف يكون هذا الشقى الملعــون هــو المــراد مــن قولــه تعالى ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغـــاء مرضــات الله ﴾ ؟

ثم إن كلامـــهم هــذا لا يتوافــق مــع أى تفســير للآيــة الكريمة . والصحيح فى تفسيرها مــا قالــه ابــن عبــاس وأنــس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدى وعكرمـــة وغــيرهم أنــها نزلت فى صهيب بن سنان الرومـــى ؛ وذلــك أنــه لمــا أســلم بمكة وأراد الهجرة منعه النـــاس أن يــهاجر بمالــه ، وإن أحــب أن يتجرد منه ويهاجر فعل . فتخلــص منــهم وأعطــاهم مالــه ،

---

[1] التنبيه والرد ، ص ٥٠

فأنزل الله فيه هذه الآية ، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له : ربح البيع ، ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له (ربح البيع صهيب)[1] .

ومع خصوصية النزول للآية الكريمة إلا أنها عامة فى كل من يجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه ، وليس ابن ملجم الملعون قاتل الإمام الرابع للمسلمين بمجاهد بل هو مفتر وقاتل للنفس الطاهرة بغير حق .

٣. تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم واعتبار ديارهم ديار كفر

وقتلهم للمسلمين الذين لا ينهجون نهجهم ، واستحلالهم لدماء المسلمين وأموالهم وسبى نسائهم ، وقذفهم لهم بالكفر والشرك ، واعتبار ديار من عداهم ديار كفر تجب الهجرة منها كل هذا يدعو للعجب ، ويدل على خبال القوم ، ويتنافى مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم القائل (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[2] ، والقائل (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[3] ، والقائل فى حجة الوداع (ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ألا هل بلغت قالوا

---

[1] راجع تفسير ابن كثير ، المجلد الأول ، ص ٢٤٧

[2] رواه مسلم عن ابن عمر

[3] رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود

نعم قال الله اشهد)[1] ، والقائل (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[2] والقائل (من حمل علينا السلاح فليس منا)[3] .

وجزاء من يقتل مؤمنا متعمدا جهنم والغضب عليه من الله تعالى ، يقول سبحانه ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ النساء – ٩٣ . وهم بقتل المؤمنين واستحلال الأموال وسبى النساء محاربون لله ورسوله ، وناشرون للفساد فى الأرض . وجزاء من أمره كذلك القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدى والأرجل أو النفى من الأرض ، ويمكن الجمع بن بعض هذه الأمور كلما زاد شرهم ، يقول سبحانه ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ المائدة – ٣٣ . إن الإسلام لا يسمح للمسلم أن ينتهك حرمات من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت إن استطاع . فبأى دليل استحل هؤلاء دماء المسلمين ؟ !! " ويقال لهم لا يحل دم مؤمن يهرق إلا بثلاثة خلال : إما زنى بعد إحصان أو ارتداد بعد إيمان أو أن يقتل نفسا عمدا فيقتل به ، ثم لم يطلق قتل أحد من أهل

[1] ذكره البخارى عن ابن عمر ، كتاب المغازى ، باب حجة الوداع ، ج ٣ ، ص ٨٢ . ورواه مسلم عن أبى بكرة

[2] رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو ، ك الإيمان ، ومسلم عن جابر ، باب تفاضل الإسلام

[3] رواه مسلم عن أبى موسى

القبلة ، فبم استحللتم قتل الناس ؟ فإن حاولوا حجة لم يجدوها وإن مروا على جهلهم بغير حجة بان خطؤهم "[1] .

ثم كيف توصف ديار من توافرت فيهم كل خصال الإسلام والإيمان بأنها ديار كفر ؟!! إن من أركان الإسلام ما ذكرنا ، والإيمان أساسه التصديق القلبي الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . ومسلمو الأمس شهدوا وصدقوا ، ومسلمو اليوم كذلك ، فلم الاتهام بالكفر ؟ !!

إن للكفر ضوابط حددها العالم المسلم العز بن عبد السلام " أحدها ما يكون نفس اعتقاده كفرا كإنكار الله تعالى أو صفاته التى لا يكون إلها صانعا بدونها ، وجحد النبوات – ويتصل بالنبوات الملائكة والكتب واليوم الآخر والقدر خيره وشره – والثانى صدور ما لا يقع إلا من كافر كرمى المصحف فى القاذورات ، والتردد على الكنائس فى أعيادهم ومباشرة أحوالهم . وثالثها إنكار ما علم من الدين بالضرورة كالكليات الخمس ؛ حرمة القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر والردة ، وكأركان الإسلام ؛ الصلاة والصيام والزكاة والحج"

ثم الشرك فى أجلى معانيه ؛ اتخاذ شريك لله فى الذات بالقول بإلهين ، إله للخير وإله للشر ، إله للنور وإله للظلام ؛ أو القول بتعدد الآلهة ؛ أو أن عزيرا بن الله أو المسيح بن الله ؛ أو الادعاء بأن غير الله ينفع أو يضر من دون الله ، مثل الملائكة أو الحجر أو الشجر أو النار أو الشمس والقمر . . الخ .

---

[1] التنبيه والرد لأبى الحسين الملطى ، ص ٤٨

ومخالفو الأزارقة من المسلمين مع عدم خروجهم عن الإسلام لا يقولون بشريك مع الله مثلما يقول المشركون ، فلم الاتهام بالشرك ؟ !!

كيف توصف ديار من توفرت فيهم سمات الإسلام والإيمان بأنها ديار كفر ؟ !! ولم يطالب هؤلاء الأدعياء بالهجرة منها ؟ !! ولمن تترك ديار المسلمين وأعراضهم وأموالهم حينما يخرج نفر منهم مدعيا الإسلام ويستحل الدم والمال والعرض ، ويكفر الجميع ، ويترك مصالح المسلمين كلأ مباحا لأعداء الإسلام بحجة أن الديار ديار كفر والهجرة منها من الأمور الواجبة ؟

أى جريمة بشعة ارتكبها خوارج الأمس فى حق الإسلام والمسلمين ، وبها فتتوا وحدة الأمة ، وأوهنوا قواها!! وأى جريمة بشعة يرتكبها خوارج اليوم وهم يرون قوى البغى من صهيونية متآمرة حاقدة ، وبرجماتية متمثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن الغاية تبرر الوسيلة ؛ ولما كانت الغاية هى وأد الإسلام والمسلمين فالوسائل كلها مباحة دون خضوع لشرع أو عقل . ومع الصهيونية والبرجماتية يكون التآخى والتآزر مع الصليبية العالمية – التى يبرأ منها المسيح عليه السلام – والعلمانية والشيوعية .

الكل يدبر والكل يتآمر والكل يبغى القضاء على الإسلام وإخواننا فى الإسلام بدلا من الاستعداد لرد المكايد استجابة لقول الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ الأنفال ٦٠ ، يتحركون فى نرجسية قاتلة ، وعصبية لا معنى لها ، ويفتحون الثغرات

فى ربوع الأمة الإسلامية بدعـــوى أنـــهم وحدهـــم المســـلمون . وبهذه الدعـــوى يشـــاركون أعـــداء الإســـلام بإرادتـــهم وبغـــير إرادتهم فـــى تحقيـــق ســـيطرة الغـــير علـــى مقـــدرات الأمـــة وإضعاف قواها والتشكيك فـــى معتقداتـــها .

وقبل أن نترك هذه النقطة نُذكر بقوله تعـــالى ﴿يـــا أيـــها الذين آمنوا إذا ضربتم فى ســـبيل الله فتبينـــوا ولا تقولـــوا لمـــن ألقى إليكم السلام لست مؤمنـــا تبتغـــون عـــرض الحيـــاة الدنيـــا فعند الله مغانم كثيرة﴾ النساء - ٩٤، ويقول ســـبحانه ﴿يـــا أيـــها الذين آمنوا إن جـــاءكم فاســـق بنبـــأ فتبينـــوا أن تصيبـــوا قومـــا بجهالة فتصبحوا علـــى مـــا فعلتـــم نـــادمين﴾ الحجـــرات - ٦ ، ويقول الرسول صلى الله عليـــه وســـلم فيمـــا يرويـــه البخـــارى (من شهد أن لا إلـــه إلا الله واســـتقبل قبلتنـــا وصلـــى صلاتنـــا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه مـــا علـــى المســـلم)، ويروى مسلم عن رسول الله صلـــى الله عليـــه وســـلم أنـــه قـــال (من دعا رجلا بالكفر أو قال عـــدو الله وليـــس كذلـــك إلا حـــار عليه) أى رجع عليه ما قـــال ، ويؤيـــده قولـــه صلـــى الله عليـــه وسلم (أيما امرئ قال لأخيه يا كافر بـــاء بـــها أحدهمـــا إن كـــان كما قال وإلا رجعت عليـــه) .

لقد كفر الأزارقة فـــى المـــاضى البعيـــد مـــن لـــم يعتقـــد معتقدهم فكان ما كان من ضياع وتشـــتت ووهـــن ، فـــلا داعـــى لإعادة دعاوى الماضى البعيد وتكفـــير المجتمـــع ، وبخاصـــة أن المتربصين بالإسلام والمسلمين اليوم أكـــثر وأقـــوى مـــن أعـــداء الأمس . ولنتذكر دائما قول الرســـول فيمـــا يرويـــه أحمـــد فـــى مسنده عن وائلة بن الأسقع (المسلم علـــى المســـلم حـــرام دمـــه وعرضه وماله ، المسلم أخو المسلم لا يظلمـــه ولا يخذلـــه) .

٤. مرتكب الكبيرة ليس كـــافرا

وتكفير مرتكب الكبيرة يتنـــاقض مـــع قولـــه تعـــالى ﴿إن الله لا يغفـــر أن يشـــرك بـــه ويغفـــر مـــا دون ذلـــــك لمـــــن يشاء﴾النساء – ٤٨ ولاشـــك أن الكبـــيرة دون الشـــرك . ويقـــول سبحانه ﴿قل يا عبادى الذين أســـرفوا علـــى أنفســـهم لا تقنطـــوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعـــا﴾ الزمـــر– ٥٣ ، ومـــن الذنوب الكبائر . ومن المعروف أن الاقتتال كبـــيرة ، ومـــع هـــذا فإن الإسلام لم ينف عـــن المتقـــاتلين الإيمـــان إنمـــا قـــال ﴿وإن طائفتان مـــن المؤمنيـــن اقتتلـــوا فـــأصلحوا بينـــهما فـــإن بغـــت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغـــى حتـــى تفـــئ إلـــى أمـــر الله فإن فاءت فأصلحوا بينـــهما بـــالعدل وأقســـطوا إن الله يحـــب المقسطين﴾ الحجرات – ٩ . يقـــول القـــاضى عبـــد الجبـــار " إن صاحب الكبيرة لا يسمى كافرا لأن الشـــرع جعـــل اســـم الكفـــر علـــى مـــن يســـتحق العقـــاب العظيـــم ، ويختـــــص بأحكـــــام مخصوصة نحو المنع مـــن المناكحـــة والموارثـــة والدفـــن فـــى مقابر المسلمين ومعلوم أن صـــاحب الكبـــيرة ممـــن لا يســـتحق العقاب العظيم ولا تجـــرى عليـــه هـــذه الأحكـــام فلـــم يجـــز أن يسمى كافرا "[١] . وقـــول الرســـول صلـــى الله عليـــه وســـلم (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتـــول فـــى النـــار)[٢] لايعنـــى

---

[١] شرح الأصول الخمسة ، ص ٧١٢

[٢] رواه البخارى عن أبى بكرة ك الإيمان

دخولهما النار أنهما كفرا، ويؤكد هذا الحديث نفسه الذى لم يرفع عنهما الإسلام .

يقول الآمدى " أما الرد على القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر فمن جهة المعقول والمنقول والحكم ؛ أما المعقول فهو أن مرتكب الكبيرة مؤمن ، وبيان كونه مؤمنا أنه متصف بالإيمان ، وبيان اتصافه بالإيمان أنه متصف بالتصديق بالله تعالى ، ولا معنى للإيمان بالله تعالى غير التصديق به . وإذا كان مؤمنا فلا يكون كافرا ، إذ الكفر ضد الإيمان ، وضد الإيمان لا يكون مجامعا للإيمان ؛ وأما المنقول النصوص الدالة على نفى الممانعة بين الإيمان وفعل الكبيرة ، مثل قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ فلم يمتنع إيمانهم مع ارتكابهم للكبيرة وهو الاقتتال ؛ وأما الإجماع فهو أن الأمة من السلف قبل ظهور المخالفين مجمعة على إيمان من صدرت عنه الكبيرة ؛ وأما الحكم فهو أنه تصح صلاته وزكاته وكل ما يأتى به من العبادات بالإجماع من المسلمين ، ولو كان كافرا لما صحت عبادته"[1] .

ولا يعارض هذا الكلام[2] بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين

---

[1] أبو بكر الآمدى ، أبكار الأفكار ، القاعدة السابعة ، ص ٣٧ ، رسالة مخطوطة تحقيق د . لواحظ عبد السلام

[2] لأن "الجمهور من السلف والخلف يقولون الإسلام أوسع من الإيمان فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ويقولون على قول النبى (لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن) أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام ، ولا يخرج من الإسلام إلى الكفر" الفتاوى لابن تيمية ، ج ٣ ، ص ١٧٥

يشربها وهو مؤمن) رواه البخارى ومسلم ، وبقوله (لا إيمان لمن لا أمانة له) ، لأن المقصود التغليب أى أنه فى الغالب لا يحدث من جل المؤمنين لأن إيمانهم يمنعهم ، لا من كلهم . أى أن بعض من اتصف بالإيمان يمكن أن تقع منه الكبيرة دون أن ينتفى إيمانه . فكمال الإيمان فى الابتعاد عن الكبائر، أما أصل الإيمان فمع ارتكابها لا يزول ، إذ الأصل هو التصديق وهو موجود مع ارتكاب الكبيرة . والحديثان الشريفان وغيرهما يدلان على المبالغة والتغليظ فى الوعيد للإخافة ، وإبعاد المؤمن عن الكبيرة .

أما الزانى المستحل لزناه ، والمنكر لحرمته والرافض لشرع الله فيه فهو وأمثاله المرفوع عنه الإيمان ، لا من ارتكب دون استحلال وإنكار ورفض .

يقول أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة) ، قلت : وإن زنى وإن سرق، قال (وإن زنى وإن سرق) ، قلت : وإن زنى وإن سرق ، قال (وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبى ذر) رواه البخارى ومسلم .

يقول أبو الحسين الملطى فى رده على من يكفر مرتكب الكبيرة " لم كفرتم من أقر بالله ورسوله ودينه ثم أتى كبيرة ، فإن قالوا : قياسا على قول الله عز وجل ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ المائدة - ٥ ثم قال عز وجل ﴿وهو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ التغابن - ٢ ، فلم يجعل الله بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة ، ومن كفر وحبط عمله فهو مشرك والإيمان رأس الأعمال وأول

الفرائض فى عمل ، ومن ترك ما أمـــره الله فقـد حبـط عملـه وإيمانه ومن حبط عمله فهو بلا إيمان والذى لا إيمــان لــه فــهو مشرك كــافر .

" يقال لهم أخطأتم القياس وتركتــم طريــق العلــم وذلــك أن الله عز وجل بين فى كتابــه المحكـم أن الفاســق لــه منزلــة بيـن الإيمان والكفر بقوله ﴿والذين يرمون المحصنات ثـم لـم يـأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لــهم شـهادة أبـدا وأولئك هم الفاسقون﴾ النور - ٤ ، فلـم يقـل إنـهم مـع فسـقهم مؤمنون ، ولا قال إنهم كافرون . والأمــة مجمعـة علـى اسـم الفسق لأهل الكبـائر"[1] .

والفسق يعنى الخروج عـن الحـد الشـرعى وهـو أعـم من الكفر ، فكل كافر فاسق وليس كل فاسق كــافر ، فــإن كـان الخروج عن تعمد واستكبار وإنكــار فــهو خـروج عـن الملـة وهو كفر . وإن كان غير ذلك فهو فسق فقــط ، يقـول سـبحانه فى الفسق بمعنــى الخـروج عـن الملـة ﴿وإذ قلنـا للملائكـة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففســق عـن أمـر ربه﴾ الكهف - ٥٠ ، فسـق أى خـرج عـن المعتقـد الصحيـح بعناده واستكباره ، ويقــول سـبحانه ﴿وعـد الله الـذي آمنـوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فــى الأرض كمـا اسـتخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضــى لــهم وليبدلنــهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بـى شـيئا ومـن كفـر بعد ذلك فأولئك هـم الفاسـقون﴾ النـور - ٥٥ ، إذا كـل كـافر

---

[1] راجع التنبيه والرد ، ص ٤٨

فاسق ويدل علـــى أن كـل فاسـق ليـس بكــافر بــالضرورة ، عطف الفسق على الكفر ! والعطــــف يقتضــى المغــايرة يقــول سبحانه ﴿وكره إليكم الكفر والفســـوق والعصيــان﴾ الحجـرات – ٧ . والتسوية بين الكبائر والصغائر تحكـم يتنــافى مــع قولــه تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنــه نكفـر عنكـم سـيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ النساء – ٣١ ، وقولـــه تعالـى ﴿الذيـن يجتنبون كبــائر الإثـم والفواحـش إلا اللمـم إن ربـك واسـع المغفرة﴾ النجم – ٣٢ ، وقول الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم (الصلوات الخمـــس والجمعــة إلــى الجمعــة ورمضــان إلــى رمضان مكفرات لما بينــهن إذا اجتنبـت الكبـائر) رواه مسـلم والمعروف عند علماء المسلمين أن الكبـائر هـى الذنـوب التـى شرع الله سبحانه وتعالى لها عقوبة فى الدنيا مثـل القتـل العمـد والسرقة والزنى وشــرب الخمـر وقـذف المحصنـات وقطـع الطريق أو هى تلك التى توعــد سـبحانه مرتكبـها بـالعذاب الشديد فى الآخرة كأكل مال اليتيم والتولى يــوم الزحـف وأكـل الربا .

أما الصغائر فهى السـيئات وهـى اللمـم ؛ وهــى تلـك التى تتمشى مع طبيعة الإنسان الــذى قـال فــى حقـه الرسـول صلى الله عليه وسلم (كــل ابـن آدم خطــاء وخـير الخطـائين التوابون) . وقيل فى تعريفها أنها " كل ذنب لـم يختـم بلعنـة أو غضب أو نار . وقيل ما ليس فيها حـد فـى الدنيـا ولا عـذاب

فى الآخرة ؛ والمراد بالوعيد الوعيد الخـاص بالنـار أو اللعنـة أو الغضـب "[1]

والكبائر حددها ابن عبـاس وغـيره فـى تسـع ؛ وهـى الشرك بالله سبحانه وعقوق الوالدين وقتـل النفـس التـى حـرم الله إلا بالحق وقذف المحصنات الغافلات والزنـا والفـرار مـن الزحف والسحر وأكل مال اليتيـم والإلحـاد فـى الحـرم . وزاد بعضهم التعامل الربوى . وزاد بعضـهم ، ومنـهم الإمـام علـى رضى الله عنه ، السرقة وشرب الخمـر . . . وقيـل إنـها إلـى السبعين أقرب[2] . وأيا كان أمرها فـهى محـدودة العـدد ، أمـا الصغائر فتخرج عن المحدودية إلى الكـثرة ، يـدل علـى ذلـك الحديث النبوى السابق (كل ابن آدم خطـاء) ، أى كثـير الخطـأ

وفى الكبيرة والصغـيرة دعونـا نتذكـر قـول الرسـول صلى الله عليه وسلم فى عصبة مـن الصحابـة (بـايعونى علـى ألا تشـركوا بـالله شـيئا ولا تسـرقوا ولا تزنـوا ولا تقتلـوا أولادكم ولا تأتون ببـهتان تفترونـه بيـن أيديكـم وأرجلكـم ولا تعصوا فى معروف فمن وفـى منكـم فـأجره علـى الله ومـن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيـا فـهو كفـارة لـه ومـن أصاب من ذلك شيئا ثم سـتره الله فـهو إلـى الله إن شـاء عفـا عنه وإن شاء عاقبه) رواه البخارى فـى صحيحـه عـن عبـادة بن الصـامت .

---

[1] شرح الطحاوية ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ ، تحقيق د . عبد الله التركى وآخر ، مؤسسة الرسالة ، ط أولى ١٩٨٨

[2] شرح الطحاوية ، ج ٢ ، ص ٥٢٥

٥. بعض الأزارقة يجوزون الكفر على الرسل قبل البعثة أو بعدها

ومما يدل على خبال القوم وعدم قدرتهم على التفريق بين البشر ورسل الله هذا التجويز ، إذ من المعلوم أن الإجماع منعقد على عصمة الأنبياء حيث أنهم الصفوة الممتازة المجتباة التى زودها الله سبحانه بكمال فى الخلق وكمال فى الخلق ، يقول سبحانه وتعالى ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ الحج ٧٥ ويقول عز وجل ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾ آل عمران - ٣٣ ومع الاصطفاء كان الحفظ لظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه أو ترك مأمور به ؛ إذ هم سفراء الله إلى الخلق وحملة كلمته إليهم . وليس بعزيز عليه سبحانه وتعالى هذا الحفظ . ويمتد الحفظ للظاهر والباطن ليشمل الرسول قبل البعثة وبعدها وإلى أن يلحق الرسول بالرفيق الأعلى .

ومعنى هذا أنه مبرأ من الكفر قبل البعثة وبعدها ؛ لأن كفره قبلها لا يجعل النفس تطمئن لدعوته ، وجواز كفره بعدها يشكك فى الدعوة كلها ، بل يشكك فى الذى اختاره ليكون رسولا له .

والرسل مؤيدون بالمعجزات والتى من أهم أهدافها تصديق الله سبحانه لرسوله عند الناس ، كأنه عز وجل يقول لهم صدقوه فيما يبلغ عنى ، والدليل على صدقه أنى أظهر على يديه أمورا خارقة لما تعودتموه ، وهذه الأمور ليست [illegible] تحت قدرته أو قدرتكم ، ولا يحدث مثلها عبر أى

زمان لأنها من خلقى وأردت بـــها تصديـــق رســولى ، وآمــره أن يتحداكم بها ، وتعجزون عجزا تامـــا عــن الاتيــان بمثلــها . ومن المستحيل أن يؤيد الله رسوله ليكــون مصدقــا عنــد النــاس مقبولا فى دعوته وهو يعلم أنه ســيكفر ، إذ يــترتب علـــى هــذا التناقض ، فهو رســول وهـــو ليــس برســول ، وهــو صــادق وليس بصادق ودعواه حق وهى ليســت بحــق .

كما يستحيل أن يؤيده الله ويصدقه وهـــو لا يعلــم أن هــذا المصدق سيكذب ويكفر فى مســـتقبل الأيــام ، لأن عــدم العلــم يعنى الجهل ، والجهل عليه سبحانه محــــال ؛ فـــهو عـــز وجـــل متصف بكل كمال ومن الكمالات شـــمول علمـــه لكـــل صغـــيرة وكبيرة ، للســـر والعلانيـــة ، للمـــاضى والحـــاضر والمســـتقبل ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيــض الأرحـــام ومـــا تـــزداد وكل شئ عنده بمقدار عـــالم الغيـــب والشـــهادة الكبـــير المتعـــال سواء منكم من أسر القول ومن جـــهر بـــه ومـــن هـــو مســـتخف بالليل وسارب بالنهار﴾ الرعـــد - ٨ إلـــى ١٠ .

ثم إن الواقع يدل على كذب مــــا تقــول بـــه هـــذه الفئـــة الضالة من الخوارج ، فلم يسمع أحد من البشـــر عـــن نبـــى أنـــه كان قبل البعثة كافرا . وقـــد تتـــابع إرســـال الرســـل ، وانتـــهى التتابع بإرســـال محمـــد صلـــى الله عليـــه وســـلم ليكـــون خـــاتم الأنبياء والمرسلين ، يقول سبحانه ﴿مـــا كـــان محمـــد أبـــا أحـــد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكـــان الله بكـــل شـــئ عليما﴾ الأحزاب - ٤٠ ، ولم يسمع أحد مـــن البشـــر أن رســـولا من رسل الله عز وجل كفر برسالته أو برســـالة الأنبيـــاء قبلـــه .

وإذا كانوا يقولون بالجواز العقلـــى ، فـــإن واقـــع الرســـل منع من الوقوع الفعلـــى فـــى ماضيـــهم وحـــاضرهم ومســـتقبلهم وجعل الجواز من الأمور المســـــتحيلة .

٦. الزانى المحصن لا يرجـــم

وإسقاطهم لحد الرجم عـــن الزانـــى المحصـــن يتنـــاقض مع اعتقاد المسلمين بأن المصدريـــن الأساســـيين للإســـلام همـــا القرآن الكريم والسنة المطـــهرة ، يقـــول ســـبحانه ﴿ومـــا أتـــاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنـــه فانتـــهوا﴾ الحشـــر - ٧ ، ويقـــول عن رسوله ﴿ومـــا ينطـــق عـــن الـــهوى ۞ إن هـــو إلا وحـــى يوحى﴾ النجم - ٣-٤ ويقول الرســـول صلـــى الله عليـــه وســـلم (ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إنى أوتيـــت القـــرآن ومثلـــه معه ألا يوشك رجل ينثنى شـــبعانا علـــى أريكتـــه يقـــول عليكـــم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ومـــا وجدتـــم فيـــه مـــن حرام فحرموه)[١]، وفـــى حديـــث آخـــر (عليكـــم بســـنتى وســـنة الخلفاء المهديين من بعـــدى)[٢] .

ومن الثابت أن الرســـول صلـــى الله عليـــه وســـلم رجـــم ماعزا حينما اعترف بزناه ، فعن ســـعيد بـــن جبـــير عـــن ابـــن عباس أن النبى صلى الله عليه وســـلم قـــال لمـــاعز بـــن مـــالك

---

[١] ذكره ابن حنبل فى مسنده ج ٤ ص ١٣١ عن المقدام بن معد مكرب الكندى

[٢] ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده ، ج ٤ ، ص ١٢٧ ونصه عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومستحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)

(أحق ما بلغنى عنك ؟ قال وما بلغك عنى ؟ قال بلغنى أنك وقعت على جارية آل فلان ، قال نعم . فشهد أربع شهادات فأمر به فرجم)[1] ، قال الترمذى حديث ابن عباس حديث حسن .

وفى حديث آخر عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله (أن رجلا من أسلم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فاعترف بالزنا فأعرض عنه ، ثم اعترف فأعرض عنه ، حتى شهد على نفسه أربع شهادات فقال النبى صلى الله عليه وسلم أبك جنون ؟ قال : لا ، قال أحصنت ؟ قال : نعم ، قال : فأمر به فرجم بالمصلى فلما أذلقته الحجارة فر ، فأدرك فرجم حتى مات ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ولم يصل عليه)[2] .

والمشهور بين علماء المسلمين أن النسخ فى القرآن جائز لقوله سبحانه ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ البقرة - ١٠٦ ، وأن النسخ ينقسم إلى ثلاثة أضرب ، الأول ما نسخ تلاوته وحكمه ، مثل قالت عائشة رضى الله عنها " كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات " وقال أبو موسى الأشعرى " نزلت ثم رفعت " . والضرب الثانى ما نسخ حكمه دون تلاوته مثل قوله تعالى ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ النساء - ١٥ ، فقد نسخ الحكم بقوله تعالى فى شأن الزانية والزانى غير

---

[1] الجامع الصحيح للترمذى ج ٤ ، ص ٣٥ ، حديث رقم ١٤٢٧

[2] الجامع الصحيح للترمذى ، ص ٣٦ ، حديث رقم ١٤٢٩

المحصنين ﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ النور- ٢

وفى هذا الضرب يرد سؤال ، ما الحكمة من نسخ الحكم وبقاء التلاوة ؟ يجيب عن هذا الإمام السيوطى بجوابين " أحدهما أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فتركت التلاوة لهذه الحكمة ، والثانى أن النسخ غالبا يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيرا للنعمة ورفع المشقة "[1] .

أما الضرب الثالث فهو ما نسخ تلاوته دون حكمه ، ومنه آية رجم الزانى المحصن " الشيخ والشيخة فارجموهما البتة إذا زنيا" ، فعن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها . فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف "[2] .

[1] جلال الدين السيوطى ، الإتقان فى علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣١ الباز بمكة
[2] ذكره مسلم فى صحيحه ، ك الحدود ، باب رجم الثيب فى الزنا

٧. حصر حد القذف في من قــذف النســاء

وإسقاط حد القذف عن من قذف الرجــــال وحصـــره فـــى من قذف النساء هو وقوف بالنص عند ظـــاهره ، وفـــهم خـــاطئ للآية الكريمة ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لـــم يـــأتوا بأربعـــة شهداء فاجلدوهم ثمــــانين جلـــدة ولا تقبلـــوا لـــهم شـــهادة أبـــدا وأولئك هم الفاسقون ۞ إلا الذين تابوا من بعـــد ذلـــك وأصلحـــوا فإن الله غفور رحيم﴾ النـــور - الآيتـــان ٤ و ٥ .

والصحيح أن الآية تشمل القذف بالزنـــا عمومـــا ، قـــذف المرأة للمرأة ، وقذف الرجل للمرأة ، وقـــذف الرجـــل للرجـــل ، وقذف المرأة للرجل . يقـــول القرطبـــى " ذكـــر الله تعـــالى فـــى الآية النساء من حيـــث هـــن أهـــم ، ورميـــهن بالفاحشـــة أشـــنع وأنكى للنفوس ، وقذف الرجال داخل فـــى حكـــم الآيـــة بـــالمعنى وإجماع الأمة على ذلـــك . . . وحكـــى الزهـــراوى أن المعنـــى والأنفس المحصنات فهى بلفظـــها تعـــم الرجـــال والنســـاء . . . وقال قوم أراد المحصنات الفروج كمـــا قـــال تعـــالى ﴿والتـــى أحصنت فرجها﴾ فيدخل فيه فروج الرجـــال والنســـاء "[1]

والفقـــهاء إذ يجمعـــون علـــى أن الآيـــة تشـــمل الرجـــال والنساء فإنهم يشـــترطون فقـــط فـــى القـــاذف العقـــل والبلـــوغ والإسلام والحرية والعفة عن الفاحشة التـــى رمـــى بـــها ، يقـــول ابن رشد " فأما القـــاذف فإنـــهم اتفقـــوا علـــى أن مـــن شـــرطه وصفين وهما البلوغ والعقـــل ، وســـواء كـــان ذكـــرا أو أنثـــى حرا أو عبدا مسلما أو غـــير مســـلم . وأمـــا المقـــذوف فـــاتفقوا

---

[1] أبو عبد الله محمد الأنصارى القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ١٧٢

على أن من شرطه أن يجتمـــع فيـــه خمســـة أوصـــاف ، وهـــى البلوغ والحرية والعفاف والإسلام وأن يكـــون معـــه آلـــة الزنـــا فإن انخرم من هذه الأوصاف وصف لم يجـــب الحـــد "[1]

[1] بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ ، دار الفكر

البحث الثامن

الإباضـــــية

١

الانتماء والأفكار

يجمع أهل السنة على أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج تقول بمثل ما يقولون وتعتقد بمثل ما يعتقدون . إلا أن الإباضية يصرون على القول بأنهم ليسوا من الخوارج ، وهذا ما سنوضحه فيما بعد .

والآن يهمنا أن نقول أن لفظة الأباضية ظاهرة النسبة إلى عبد الله بن إباض المقاعسي المرى التميمي ، والذى اشتهر بمواقفه الكثيرة المتشددة من بنى أمية . وقد عاصر معاوية بن أبى سفيان وعبد الله بن الزبير وتوفى فى عصر عبد الملك بن مروان .

يقول عنه أحد كتاب الإباضية " هو الذى فارق جميع الفرق الضالة من المعتزلة والقدرية والصفاتية والجهمية والخوارج والروافض والشيعة . وهو أول من بين مذهبهم ونقض فساد اعتقادهم . . . نشأ فى زمن معاوية بن أبى سفيان ٤٠ - ٦١هـ ، وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦ هـ ، وكتب إليه السير المشهورة والنصائح المعروفة المذكورة[1] . رفع المذهب عن عبد الله وأبى الشعثاء

---

[1] يقول الزركلى فى كتابه الأعلام ج ٤ ، ص ٦٢ أراد بالسير المشهورة رسالة بعث بها ابن إباض لعبد الملك بن مروان تقع فى إحدى عشرة صفحة أوردها أبو القاسم بن ابراهيم البرادى فى كتابه الجواهر المطبوع فى مصر .
وفى الرسالة اتهامات كثيرة وتحامل واضح على عثمان بن عفان رضى الله عنه، ويكفى أن نقرأ فيها هذه العبارة القاسية " وعلم المسلمون أن طاعة عثمان على ذلك - يريد الأمور التى يدعى أنه أحدثها فى خلافته - طاعة إبليس فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض . . . أتوه فذكروه بالله وأخبروه بالذى أتى من معاصى الله ، فزعم أنه يعرف الذى يقولون وأنه يتوب إلى الله عز وجل منه =

جابر بن زيد ونقل عن أهل النهروان والنخيلة وعن التابعين من أهل صفين والجمل "[1] .

والإباضيون يرون أن الأب الروحي والمؤسس الحقيقي لمذهبهم هو جابر بن زيد الأزدى المتوفى سنة ٩٣هـ ، وهو من أنجب تلاميذ عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

وترجع أهمية فرقة الإباضية لأسباب من أهمها وجود أتباع لها حتى الآن فى بعض البلدان مثل بلاد المغرب العربى حيث يتواجد أتباع للمذهب فى نفوسة وزرارة بليبيا ، وجزيرة جربة بتونس ، وأتباع فى الجزائر وتنزانيا وسلطنة عمان التى يغلب على سكانها المذهب الإباضى .

ويراجع الحق . . . . فلما تفرقوا عنه نكث الذى عاهدهم عليه وعاد إلى أعظم من الذى تاب منه" . وتستمر الرسالة لتصور عثمان الخليفة الثالث - الذى قال فى حقه الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة) - بالمتآمر على القوم الناكث للعهود مما دفعهم إلى قتله.

وفيها أن الهلاك الذى نزل بعلى رضى الله عنه إنما استحقه بسبب تركه للحق ، وأن علامة كفر الأمة تركها للحكم بما أنزل الله .

وفيها تهجم واضح ومثير على معاوية حيث يقول "ولا تسأل عن معاوية وعن صناعته غيرى لأنى قد أدركته ورأيت عمله وسيرته ولا أعلم من الناس أحدا أترك للقسمة التى قسمها الله ولا لحكم حكمه الله ولا أسفك لدم حرمه الله منه ، فلو لم يصب من البلاء إلا دم ابن سمية لكان فيه ما يكفره" ، وأن معاوية استخلف ابنه يزيد المتهم بالفسق الشارب للخمر .

وفيها رد منه على عبد الملك الذى يتهمه بالغلو فى الدين وهو إذ يدافع عن نفسه وعن مفهومه للغلو يتهجم على من يتبع الهوى ويعصى الله ، ويدخل ضمن هؤلاء عبد الملك نفسه.

وفيها يعرف عبد الملك بالخوارج ويدافع عنهم وينهى التعريف بقوله "هذا خبر الخوارج شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء ولمن والاهم أولياء بالسنتنا وأيدينا وقلوبنا نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا" .

وتنتهى الرسالة بإسداء بعض النصائح لعبد الملك بن مروان وبيان أن الأئمة ينقسمون إلى قسمين أئمة هدى وأئمة ضلالة .

[1] د . عبد الفتاح فؤاد ، الأصول الإيمانية ، ص ٣٥٣ ، نقلا عن القلهانى ، الكشف والبيان ج ٢ ، ص ٤٧١

ومن الأسباب وفرة المراجع التى تطلع الباحث على فكرهم ومعتقداتهم وموقفهم من بقية الخوارج . ثم اعتدال بعض أفكارهم ، والذى ساعد على بقاء المذهب حتى الآن . يقول الزركلى " وهم فى المشرق اليوم أكثر أهل المملكة العمانية – والمسماة الآن سلطنة عمان – ولهم فيها الإمامة والسيادة . أما فى الجزائر ، فبلاد وادى ميزاب معظم سكانها إباضية ، ولهم فى كل بلد منها مجلس يسمى مجلس العَزَّابة بفتح العين وتشديد الزاى ، وهو جمع عازب ويعنون به من انقطع للعلم والدين عزوبا عن الدنيا ، ويتألف من نحو عشرة أشخاص يجتمعون فى مسجد البلد ويفصلون بين المتقاضين ابتعادا عن الرجوع إلى المحاكم غير الإسلامية ومن أبى حكمهم أعلنوا البراءة منه ويقاطع حتى يرد الحق ويتوب"[1] . ويقوم مجلس العزابة بالإشراف على الشئون الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الإباضى ويمثل مجلس الشورى للإمام ، وتتم اجتماعات مجلس العزابة فى المسجد فى ملحق خاص تتم فيه تدارس القضايا المهمة فى سرية تامة بين الأعضاء واتخاذ القرارات التى يخرجها المجلس لحيز التنفيذ لإفادة المجتمع[2]

أسماؤهم

والإباضيون يختارون لأنفسهم من الأسماء : المحكمة والمسلمين ، وجماعة المسلمين ، وأهل الدعوة ، وأهل الحق وأهل الاستقامة . ويذهبون إلى القول بأن الذى سماهم بالإباضية بعض ولاة الدولة الأموية فى عهد عبد الملك بن

[1] الأعلام ، ج ٤ ، ص ٦٢
[2] انظر الإباضية فى مواكب التاريخ ، ج ١ ، ص ٩٧

مروان لكثرة مراسلات ومناقشات عبد الله بن إباض مع عبد الملك ، ولكثرة نقده للدولة الأموية ودعوته لحكامها إلى الاعتدال أو اعتزال أمور المسلمين[1] . ولا يعنى هذا تأففهم من النسبة إلى عبد الله بن إباض ، فهو أحد أئمتهم ، إلا أنهم يعتبرون التسمية للتمييز فقط " وإلا فهم متمسكون بتسميتهم الأولى 'جماعة المسلمين' ، وهى المحببة لديهم مع 'أهل الدعوة' "[2] .

أهم عقائد وأفكار الإباضية

١. كلمة التوحيد تتضمن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن كل ما جاء به حق وإنكار أى قسم هو شرك .

٢. صفات الله عز وجل عين ذاته ، يقول الثمينى ، وهو من أعلام الإباضية " اشتهر الخلاف فى أن صفاته تعالى عين ذاته أو زائدة عليها ، فذهب أصحابنا والمعتزلة والحكماء ومن حذا حذوهم إلى الأول ، وذهب الأشاعرة إلى الثانى"[3]

٣. الله سبحانه وتعالى لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة لعموم قوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[4] الأنعام – ١٠٣.

---

[1] راجع على يحيى معمر ، الإباضية دراسة مركزة ، ص ٣٠

[2] فرحات الجعبيرى ، البعد الحضارى للعقيدة الإباضية ، ص ٥٧

[3] معالم الدين ، ج ١ ، ص ٢١٦

[4] يقول المخالفون لهم إن الإدراك غير الرؤية ، الإدراك هوالرؤية الإحاطية من جميع الجوانب . المنفى فى الآية الكريمة هو الإدراك وليس الرؤية التى هى نوع من الكشف يهبه الله لمن يشاء من عباده تحقيقا لقوله ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ القيامة – ٢٢ ، ٢٣

٤. إذا وعد سبحانه وتعالى بأمر ينفذ وعده وكـــذا إذا توعـــد ينفـــذ وعيده لأنه صادق دائما فى الوعـــد والوعيـــد .
٥. من الشرك إنكار ما علم مـــن الديـــن بـــالضرورة وإنكـــار أى شئ من القرآن الكريـــم .
٦. الله عز وجل متصف بكـــل كمـــال ومـــنزه عـــن أى نقـــص ، ومن النقص تشبيهه عز وجـــل بغـــيره مـــن المخلوقـــات ، يقـــول سبحانه ﴿ليس كمثله شئ وهـــو الســـميع البصـــير﴾ الشـــورى ١١، وعلى المسلم تأويل كل ما يؤدى إلـــى التشـــبيه .
٧. الاستطاعة تكون مع الفعل والفعل بخلـــق الله ســـبحانه وتعـــالى وبكسب العبد حقيقة لا مجـــازا .
٨. الصراط المستقيم هو طريـــق الإســـلام الحـــق وليـــس جســـرا ممدودا فوق جهنم ، وكذا الميزان ليس حســـيا وإنمـــا هـــو الفصـــل الحق بين أعمال الخلق . وواضح أنهم فـــى النقطتيـــن الأخـــيرتين يلجئون للتـــأويل .
٩. والإيمان يتكون مـــن أجـــزاء ثلاثـــة رئيســـية وهـــى الإقـــرار باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالأركـــان ، فمـــن أســـقط ركنـــا فليس بمؤمـــن .
١٠. يكون البعث فى الآخرة للـــروح والجســـد .
ولا تكـــون الشـــفاعة لأهـــل الكبـــائر ، وإنمـــا تكـــون للمؤمنيـــن المخلصين . يقول علـــى يحيـــى معمـــر فـــى كتابـــه " الإباضيـــة دراســـة مركـــزة " ص ٥١ " شـــفاعة الرســـول صلـــى الله عليـــه وسلم ثابتة ، وهى قسمان الشـــفاعة الكـــبرى يـــوم القيامـــة لبـــدء الحساب ولدخول المســـلمين الجنـــة . . . والشـــفاعة الصغـــرى ، ولا تكون إلا للمؤمنين الموفين بزيـــادة الدرجـــات " . ومـــن مـــات على كبيرة ولم يتب منها يخلد فـــى النـــار . أمـــا مـــن تـــاب مـــن صغيرة أو كبيرة فإنه يخلد فى الجنة ويثـــاب فيـــها أبـــدا . والجنـــة والنار لا تفنيـــان .

١١. والكبائر عندهم قسمان ؛ كبائر توجب الشرك وهي كل كبيرة تخل بالاعتقاد ، كاتخاذ شريك مع الله ، أو القول بالتثليث أو بأن عزيرا بن الله ، أو التقرب إلى الأصنام بحجة أنها تقربهم إلى الله ، أو تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم سبحانه أو جحود حكم قطعي كالصلاة أو الصوم أو رجم الزاني المحصن . وكبائر توجب كفر النعمة كأكل الحرام أو ارتكاب فاحشة أو محذور دون استحلال بل إهمال

والنص التالي يوضح أن كفر النعمة هو كفر دون كفر ، وأن الإباضية أخذوه من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، وهم إذ يقولون به يفترقون عن بقية الخوارج التي تقول بالتكفير الصريح " يحسب كثير ممن لا علم له أن الإباضية يتفقون مع الخوارج في تكفير العصاة كفر شرك ولا يعرفون أن الإباضية يطلقون كلمة الكفر على عصاة الموحدين الذين ينتهكون حرمات الله ويقصدون بذلك كفر النعمة أخذا من الآيات الكريمة التي أطلقتها في أمثال هذه المواضيع واستنادا إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ آل عمران - ٩٧ ويقول ﴿ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ النمل - ٤٠ ، ﴿ويقول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ المائدة - ٤٤ ، . . .
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) ، ويقول (الرشا في الحكم

كفر) . . . ، وأعتقد أن ما تقدم يكفي لإيضاح المقصود من إطلاق كلمة الكفر على العصاة ويقصد بذلك كفر النعمة "[1] .

١٢. الإنسان عندهم إما مؤمن صحيح الإيمان وإما مشرك واضح الشرك . وهناك صنف ثالث يقر بالإسلام وبتعاليمه ويوحد بالله إلا أنه لا يلتزم بتعاليم الإسلام ، وهذا الصنف مع المسلمين فى أحكام الدنيا إلا أنه إذا مات دون توبة فهو كافر كفر نعمة .

١٣. من الواجب أن نتولى المطيع وأن نبرأ من العاصى ونتجنبه . ثم النهى عن المنكر من الأمور الواجبة على كل مسلم . يقول صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[2]

١٤. إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإن داره دار بغى .

١٥. وهم لا يسمون أنفسهم مهاجرين ولا أميرهم بأمير للمؤمنين .

١٦. والمصادر الأساسية للإسلام فى عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه عندهم هى القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع إذا استوفى شروطه والقياس ثم الاستدلال[3] . ويدخل تحت الاستدلال الاستصحاب والاستحسان والمصالح المرسلة

الإباضية والإمامة

[1] على يحيى معمر ، الإباضية فى موكب التاريخ ، ص ٨٩
[2] ذكره مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى ، ك الإيمان ، باب كون النهى عن المنكر من الإيمان
[3] راجع على يحي معمر ، الإباضية مذهب إسلامى ، ص ٥٢

والإباضية مثل أهل السنة والخوارج والشيعة يقولون بوجوب الإمامة . إلا أنها عندهم لا تحصر في القرشية أو العرب ، وإنما تجوز لكل من استوفى شرائطها ، وتكون بالشورى وبمبايعة من أهل الحل والعقد . فإن تساوت الكفاءات فالمرجح هنا هو القرشية أو العروبة[1] .

وهم يخالفون الأشاعرة في قولهم بعدم الخروج على الإمام الجائر . كما يرفضون قول الخوارج الذين يوجبون قتال السلطان الجائر والخروج عليه . ويقولون بأن الخروج على السلطان الجائر جائز إلا إذا خيف من مضرة على جموع المسلمين من جراء الخروج عليه ، فإنه يستحسن عدم الخروج والحاكم الظالم يطالب أولا بتحقيق العدل والالتزام به من باب النصيحة ، فإن استجاب وإلا طولب بالحسنى بترك أمور المسلمين لغيره ليصرفها بالعدل ، فإذا لم يستجب يجوز الخروج عليه بشرط ألا يؤدى الخروج إلى ضرر محقق يلحق بجماعة المسلمين . أما الحاكم العادل فلا يجوز الخروج عليه، بل يجب مؤازرته والسير وفق توجيهاته .

وللإمام أن يستشير أهل الحل والعقد كل وأحد في دائرته فيمن يصلح لولاية المسلمين وتصريف أمورهم بالعدل والحسنى . وهو مسئول عن تصرفات من يعينه للولاية ، وله الحق في عزل من تثبت عدم صلاحيته .

"ويجوز أن تتعدد الإمامات في الأمة الإسلامية إذا اتسعت رقعتها وبعدت أطراف البلاد منها أو قطع بين أجزائها

---

[1] يقول على يحى معمر إن جابر بن زيد ، والذى يعتبر المؤسس الحقيقى والأب الروحى للمذهب ، كان يرى أن الإمامة لأهميتها " لا يمكن أن تخضع لنظام وراثى ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون ، وإنما يجب فيها الكفاءة المطلقة – الدينية والعملية والعقلية – فإن تساوت هذه الكفاءات . . . أمكن أن تجعل الهاشمية أو القرشية أو العروبة من أسباب المفاضلة " الإباضية فى موكب التاريخ ، ٦٣

عدو بحيث يعسر حكمها بنظام واحـــد ، أو أن يكـــون ذلــك ســـببا لانهيارها وتشتيت قواها وتعطل مصالح النــــاس فيـــها"[1].

وتتخذ الدار في نظر الإباضية أربـــع صـــور :

الأولى : الدار دار إسلام ومعســـكر السـلطان معســكر إســلام إذا التزم الكل بما فيهم الســـلطان بكتــاب الله وبســنة الرســول عليـــه السلام .

الثانية : الدار دار إسلام ومعســـكر الســلطان معسـكر إســلام إلا أنه معسكر بغى إذا لم يلتزم بمنـــهج الإســلام فـــى الحكـــم وهـــذه الصورة تمثل بعض البلـــدان الإســـلامية .

الثالثة : الدار دار إسلام ومعسكر السلطان معســـكر كفـــر وشـــرك إذا كان السلطان الذى يحكـــم الأمـــة الإســلامية دولـــة مســـتعمرة مشركة أو كتابية . وتمثل هذه الصــــورة الــدول الإســلامية قبـــل تحريرها من الاســـتعمار .

الرابعة : الدار دار كفر ومعسكر الســلطان معســكر كفـــر حينمـــا يكون الجامع للكل هو الشرك محكومين وحكامــــا ، هـــذه الصـــور محققة فى كثير من بلدان العالم التـــى لا تعـــرف الإســـلام وتعمـــل على التشويش عليه وتشويه صورتـــه ونشـــر اللادينيـــة أو التعـــدد أو عبادة الفرد أو الطبيعة أو الجنـــس . . . الـــخ[2]

[1] الإباضية دراسة مركزة ، ص ٤٨

[2] انظر المرجع السابق

٢

بعض فرق الإباضية

ما ذكرناه فيما مضى من عقائد وأفكار هو لجمهور الإباضية ، وهم في جملتهم يبرأون من غلو الخوارج ، ويذهبون إلى القول بأنهم ليسوا خوارج ، وإنما هم أصحاب مذهب فقهي مثل الحنابلة والمالكية والشافعية والأحناف .

وإذا كان الكثير من فرق الخوارج قد اندثر ولم يبق إلا بعض الأفكار المتناثرة هنا وهناك والتي يتشدق بها أناس يميلون إلى المغالاة والتطرف في الدين ، ربما عن جهل بالدين وسماحته ، وربما لدوافع أخرى سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، وربما خضوعا وتنفيذا لمؤامرات دولية وجماعات صهيونية تخطط في الخفاء للنيل من الإسلام والمسلمين باعتباره الدين الحق ، وباعتبار المسلمين ، لو أخلصوا في إسلامهم ، هم قوة القيادة الحقيقية لهذا العالم ، وهم مالكو الغد المشرق لكل محب للسلام والعدل والسماحة والأمن والحرية - أقول إذا كان الكثير من فرق الخوارج قد اندثر فإن فرقة الإباضية - أعني جمهورها - قد مضت قدما عبر الأزمنة المتطاولة ووصلت إلى حاضرنا . ونعتقد أنها ستستمر لتصل حاضرها بالمستقبل .

والسبب الذي يدعونا لهذا الاعتقاد هو فهمها القريب من الصحة لحقيقة الدين الإسلامي ، واقترابها إلى حد كبير من معتقدات أهل السنة والجماعة ، ونبذها للغلو والتطرف الذي عرف عن الخوارج .

وبقولنا جمــــهور الإباضيـــة نخـــرج الفـــرق التاليـــة التـــى تندرج تحت العنوان العام – الإباضية – وهـــى فـــرق غـــالت فـــى أفكارها ومعتقداتها بحيث أوصلها الغلو إلـــى أمريـــن :
أولهما : كفر الملة أى الكفر بـــالمعتقد .
ثانيهما : براءة جمهور الإباضية منـــها واعتبارهـــا فرقـــا منشـــقة وخارجة عن المعتقدات الصحيحـــة .

وهذا تعريف موجز لأشهر هـــذه الفـــرق :

١. الحفصيـــة

وتنسب إلى حفص بن أبى المقدام . ومن أقوالـــه إن بيـــن الشـــرك والإيمان خصلة واحدة وهى معرفة الله تعـــالى " فمـــن عـــرف الله سبحانه ثم كفر عن سواه مـــن رســول أو جنـــة أو نـــار أو عمـــل بجميع الخبائث من قتل النفس واستحلال الزنـــا وســـائر مـــا حـــرم الله من فروج النساء فهو كافر برئ مـــن الشـــرك ، وكذلـــك مـــن اشتغل بسائر ما حرم الله سبحانه مما يؤكـــل ويشـــرب فـــهو كـــافر بـــرئ مـــن الشـــرك ، ومـــن جـــهل الله ســبحانه وأنكـــره فـــهو مشـــوك"[١].

وقد زعم حفـــص أن عليـــا هـــو المقصـــود بقولـــه تعـــالى ﴿كالذى استهوته الشـــياطين فـــى الأرض حـــيران لـــه أصحـــاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الـــهدى وأمرنـــا لنســـلم لرب العالمين﴾ الأنعـــام – ٧١ ، فعلـــى فـــى رأيـــه هـــو الحـــيران والذين يدعونه إلى الـــهدى هـــم الذيـــن خرجـــوا عليـــه والتحقـــوا بالنهروان لكنه أبى دعوتـــهم وقاتلـــهم . وقـــال إن المقصـــود مـــن

[١] مقالات الإسلاميين للأشعرى ، ج ١ ، ص ١٨٣

قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام﴾ البقرة - ٢٠٤ هو على بن أبى طالب ، أى أن عليا منافق . أما المقصود من قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد﴾ البقرة - ٢٠٧ فهو ابن ملجم ، وهكذا يبرئ ساحة ابن ملجم ويعتبره من الذين باعوا أنفسهم لله تعالى.

" ثم قالوا - أى الحفصية متناقضين مع كلامهم السابق - إن الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل "[1] .

وهم يقفون من عثمان رضى الله عنه نفس الموقف الذى وقفته الرافضة من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وهذا يجعلنا نأسف لأن الاتجاه العام - لا عند الحفصية فقط - وإنما عند الإباضية يتلخص فى العداء السافر للصحابيين الجليلين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب[2] .

٢. اليزيدية

أصحاب يزيد بن أنيسة الذى يقول إن الله سيبعث رسولا من العجم ، وينزل عليه كتابا وهذا الكتاب ينزل عليه جملة واحدة ويترك الرسول الجديد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويكون على ملة الصابئة .

---

[1] الفرق بين الفرق للبغدادى ، ص ٨٤

[2] راجع إن شئت رسالة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان فى كتاب الجواهر المنتقاة للبرادى ، ص ١٥٦ وما بعدها ، وسيحزنك ما ورد فيها من تحامل فظيع وأتمنى أن لا يكون ابن إباض هو كاتبها .

ويدعى أن من شهد من أهل الكتاب بأن محمدا رسول الله إلا أنه مبعوث للعرب خاصة فهو مؤمن وإن لم يدخل في دين محمد أو يعمل بشريعته .

وابن أنيسة بقوله هذا ينكر كون الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، ويتناقض مع قوله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ الأحزاب - ٤٠ ، ويتوافق قوله مع قول العيسوية من اليهود أصحاب أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصبهاني الذى اعترف بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنه ادعى أن الرسول مبعوث للعرب خاصة .

وكلام ابن أنيسة والعيسوية يترتب عليه إنكار عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، وهذا يتناقض كلية مع القرآن الكريم القائل ﴿وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين﴾ الأنبياء - ١٠٧ والقائل (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ سبأ - ٢٨ والقائل ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض﴾ الأعراف - ١٥٨ ، ويتناقض مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخارى (كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود) وفى رواية (وبعثت إلى الناس عامة) (وبعثت إلى الناس كافة . وقد أرسل صلى الله عليه وسلم برسائل إلى ملوك العرب والعجم يدعوهم إلى الإسلام ، وهو إذ يفعل لا يفعل عن هوى وإنما بأمر من الله سبحانه وتعالى الذى أعلمه بأنه رسول للعالمين .

٣. النكارية

وزعيمها هو أبو قدامة يزيد بن فيدين ، وسموا بالنكارية لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم الذى بويع له بعد وفاة أبيه مستندين فى إنكارهم إلى مبدأين ، الأول عدم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، وهم بهذا يرون أن هناك من هو أفضل من عبد الوهاب بن رستم . والثانى صحة الإمامة إذا حدثت وفق شروط وضعها الناس ، فإذا خولفت هذه الشروط أو أحدها بطلت الإمامة ، وقد "اشترط على عبد الوهاب أن يكون له مجلس شورى خاص لا يقضى فى شئ من الأمر دون الرجوع إليه ، ولم يتم هذا الشرط ، بناء على هذا فإمامته باطلة"[1] .

ومن أقوالهم أن صلاة الجمعة لا تجوز خلف أئمة ظلمة

٤. الحارثية

أتباع الحارث بن يزيد الإباضى ، وهم يقولون فى القدر بقول المعتزلة ، كما يقولون بأن الاستطاعة قبل الفعل[2]

ثم هناك السكاكية وتنسب إلى عبد الله السكاك ، وهم ينكرون السنة والإجماع والقياس ، ويدعون أن الآذان وصلاة الجمعة بدعة ، ولا تجوز الصلاة إلا بما عرف تفسيره من القرآن الكريم .

ويشاركهم فى إنكار السنة والإجماع فرقة الحسينية ، والتى تقول إنه ليس بمشرك من ينكر الأنبياء والملائكة

---

[1] الإباضية دراسة مركزة ، ص ٦٤

[2] انظر مقالات الإسلاميين للأشعرى ، ج ١ ، ص ١٨٥

والكتب واليوم الآخر والجنة والنار ، وأن المتأولين المخطئين من فرق الأمة مشركون[1] .

ولا شك أن السنة هى المصدر الثانى للتشريع وأن منكرها كافر كفر ملة . ومن العجيب أن الحسينية تحكم بشرك المتأول المخطئ وتنفى الشرك على من ينكر بقية أركان الإيمان من كتب ورسل وملائكة ويوم آخر بما فيه من جنة ونار . ولا يقول بهذا الكلام إلا مشوش العقل فاسد المعتقد .

وأعتقد أننا لسنا فى حاجة إلى الاستمرار فى سرد هذه الفرق، والدافع لهذا هو أن أغلبها قد باد بفعل الزمن ، ولم يبق على حسب ما نعرف إلا جمهور الإباضية والذى يميل إلى حد ما إلى الاعتدال.

---

[1] انظر الإباضية دراسة مركزة ، ص ٦٦

٣

معنى الخوارج عند الإباضية

يذهب أتباع المذهب الإباضى إلى حصر معنى الخوارج فى أولئك الذين خرجوا على الدين أو على بعض أحكامه مثل المرتدين الذين حاربهم الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه حينما منعوا الزكاة بحجة أنهم كانوا يدفعونها للرسول صلى الله عليه وسلم وبوفاته تسقط عنهم . "إن أحاديث المروق إذا صحت لا يكون المقصود منها إلا أولئك الذين خرجوا على خلافة أبى بكر منكرين للشريعة أو لأصل من أصولها . . . إنكارا استحقوا به أن يحاربهم خليفة رسول الله الأول"[1] .

وأيضا على نافع بن الأزرق وأتباعه الذين غيروا فى الدين واستحلوا ما حرمه الله من اتهام المسلمين من مخالفيهم بالشرك واستحلال نسائهم وأموالهم وسبى أطفالهم .

إذا فالخارجون على الدين هم الذين يسمون بالخوارج يقول على يحيي معمر "والخروج عن الإسلام يكون إما بإنكار الثابت القطعى من أحكامه أو بالعمل بما يخالف المقطوع به من نصوص أحكام الإسلام . . . وأقرب الفرق الإسلامية إلى هذا المعنى هم الأزارقة ومن ذهب مذهبهم ممن يستحل دماء المسلمين وأموالهم وسبى نسائهم وأطفالهم"[2] .

أما من خرجوا لوضع سياسى يرونه فليسوا بخوارج عند الإباضية ، وبالتالى فإن قتلة عثمان ليسوا بخارجين ؛

---

[1] بكير بن سعيد ، دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية ، ص ٣٠

[2] الإباضية فى موكب التاريخ ، ص ٣٣

لأنهم رأوا أمورا تجاسر على فعلها الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد سنوات حكمه الست الأولى ، وهى أمور فى رأيهم تضر بالأمة . وكذا خروج طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام على الخليفة الرابع على بن أبى طالب بعد مبايعتهم له لأنهم كانوا يطالبون بتسليم قتلة عثمان رضى الله عنه . وخروج معاوية وأتباعه من أهل الشام ومحاربتهم للإمام على فى صفين كان الهدف منه سياسيا وهو المطالبة بتسليم قتلة عثمان . يقول معمر "يرى الإباضية أن إطلاق كلمة الخوارج على فرقة من فرق الإسلام لا يلاحظ فيه المعنى السياسى الثورى سواء كانت هذه الثورة لأسباب شرعية عندهم أو لأسباب غير شرعية ، ولذلك فهم لم يطلقوا هذه الكلمة على قتلة عثمان ولا على طلحة والزبير وأتباعهما ولا على معاوية وجيشه . . . وإنما كل ما يلاحظونه هو المعنى الدينى الذى يتضمنه حديث المروق"[1] .

ولقد كان الحق مع على وكان إماما بمبايعة المسلمين ولم يكن من حقه أبدا أن يتساهل أو يتردد فى أمر أجمعت عليه الأمة ، وهو أحقية إمامته وقتال البغاة . "فإذا رضى بطلب البغاة ووضع الحق اليقينى موضع الشك وتنازل عن الواجب الذى أناطته به الأمة وألزمته به البيعة فإن هذه البيعة تنحل من أعناقهم وهم بعد بالخيار"[2] . لقد رأى رافضو التحكيم قبول على له هو بمثابة التنازل عن الإمامة ، ولكى لا تخلوا الساحة من إمام للقوم يقوم بشئون المسلمين سارعوا بتأمير عبد الله بن وهب الراسبى والتفوا حوله ، ودعوا عليا ومعاوية وبقية المسلمين إلى مبايعته . ولكون الأمر يتعلق بالسياسة فهؤلاء أيضا لا يسمون خوارج .

[1] المرجع السابق ، ص ٣٣
[2] دراسات إسلامية ، ص ٢٤

وقفة قصيرة

ويعجب المؤلف من هذا المصطلح الجديد والغريب ، فى نفس الوقت ، إذ أنه بالاتفاق يسمى الخارج على الدين الإسلامى المستحل للخروج كافرا ولا يكتفى بتسميته خارجيا ولهذا كفر كل من منع الزكاة واستحل المنع ، وكفر من حكم بالشرك على المسلمين واستحل أموالهم ونساءهم .

وهنا يأتى سؤال بم نسمى أو نصف من بايع بكامل إرادته حاكما أو إماما أجمعت على إمامته الأمة واختاره أهل الحل والعقد ، ثم لشئ فى نفسه ، أو لرأى ارتآه ، أو لتفسير خاطئ ذهب إليه ، أو لإيحاءات خارجية من الغير نفض يده من هذه البيعة ولم يلتزم بطاعة الحاكم ، بل جهد نفسه فى التآمر عليه وراح ينفر الناس فى حاكمهم وفى كل ما يتخذه من قرارات ؟ ثم ماهى النتيجة المترتبة على الخروج والانقضاض على الإمام أو الخليفة أو الحاكم ؟ وما هو المردود الفعلى على الأمة ؟

إن تفسير الإباضية لكلمة خوارج وحصرها الخروج فى الخروج على الدين يفتح الباب على مصراعيه لكل صاحب هوى فى نقض البيعة أو الخروج على الحاكم المنتخب

إننا لم نخلق للآخرة فقط ، وإنما خلقنا للدنيا أيضا وعمارتها ، واستغلال ما فيها بالحق والعدل ، ولا يتم هذا إلا من خلال الأمن الذى يعمل على توفيره الحاكم أو الخليفة . فإذا ما شغل الحاكم بخروج هنا وهناك من رعيته فكيف يوفر الأمن للجميع ؟ وبم يحافظ على أمن الأمة من أعداء الخارج ؟

لقد كانت الفتوحات الإسلامية على أشدها فى عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وكان من الممكن أن يزداد

رخاء الأمة لو تآزر الجميع حكاما ومحكومين . لكن فئة لا يرضيها سعادة الأمة وقوتها خرجت على عثمان رضى الله عنه ثم قتلته بعد ذلك بحجة مفاهيم بالية خيالية حسبتها حقائق أفلا يسمى من استحلوا دم عثمان وتمزيق وحدة الأمة وبعثرة قواها وإيقاف نهضتها خوارج ؟!!

وجاء على رضى الله عنه للخلافة بعد رضوخه لرغبة الأمة ، وكان من الممكن لو أعطى الفرصة أن يحافظ على وحدتها وسلامها ، وينشر الأمن والأمان فيها ، ويواصل نشر الإسلام فى ربوع العالم ، ويقبض على قاتلى عثمان ويحاكمهم أمام الجميع وبالعدل المطلق يقتص من قتلته ، ولكن نفوسا خبيثة عملت على نشر الضباب ، وأوغرت صدور أطهار من الصحابة مثل طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم جميعا . وقتل طلحة والزبير وأعيدت صاحبة الجمل إلى المكان الذى خرجت منه ، وقتل عدد ليس بالقليل من المسلمين . أفلا يسمى من أوغر الصدور ووضع بذور الفتنة خارجيا ؟!!

ثم صفين والتى أدت إلى تمزق فى الأمة تتوارثه الأجيال عبر الأزمنة ، ومع بدء التمزق استشهد أكثر من ثمانين ألفا من المسلمين المحاربين . فبم نسمى من أشعل نار الحرب فى صفين ؟ وبم نسمى الكثرة الكاثرة التى خرجت على إمامة على والتحقت بحروراء ثم النهروان وراحت تكيد له وللأمة وتكفره وتكفر كل من قبل التحكيم ثم تستعد لحربه وتحاربه فعلا .

إننا نغالط ونتمسح بالدين حينما نحصر الخوارج فى أولئك الذين خرجوا على الدين ، إن هؤلاء يسمون الكفار أو المرتدين ، ومع عدم الاستحلال يسمون بالظالمين أو الفاسقين

أما الخوارج فهم أولئك الذين يخرجون على الحاكم الذى ارتضو وبايعوه – لا لشئ إلا لهوى فى نفوسهم أو ترد

فى أخلاقهم أو لرغبة جامحة فـــى التســلط والســيطرة والحكــم ، ولا يأبهون بالانعكاسات السلبية على الأمـــة أو المجتمـــع الناجمـــة عن الخـــووج .

٤

هل الإباضية من الخوارج ؟

يتعرض الكثير من الباحثين لـــهذا الســؤال ، ونراهــم فـــى إجابتهم ينقسمون فى الغالب إلـــى قســمين :
قسم يقول لا ليس الإباضيون مـــن الخـــوارج ، وهـــذا القســم هــم الإبـــاضيون أنفســـهم . أمـــا القســم الثـــانى ويمثلـــهم المشـــتغلون بدراسة الفـــرق مـــن أمثـــال الأشـــعرى والبغـــدادى والأســـفراينى والشهرستانى . . الخ ، فيقولون نعم هم مـــن الخـــوارج .
ويؤكـــد القســـم الأول قولـــه بذكـــر بعـــض الفـــروق بيـــن الإباضية والخوارج والتى منها أن الخـــوارج عرفـــوا علـــى مـــدى تاريخـــهم الطويـــل بـــالثورات وحمـــل الســـلاح وإراقـــة الدمـــاء والتعصب لأتفـــه الأشـــياء ومنـــاوأة الســـلطات والقـــول بوجـــوب الخروج على السلطان الجائر وقتله والذهاب إلـــى تكفـــير مرتكـــب الكبيرة كفر ملـــة وتكفـــير مخالفيـــهم ، وبعضـــهم يحكـــم عليـــهم بالشرك ، ويرى عـــدم مناكحتـــهم وعـــدم التـــوارث بينـــهم وبيـــن مخالفيهم ويستحل دماءهم وأموالهم وســـبى نســـائهم . . الـــخ .
وعلى خلاف ذلك تمامـــا يذهـــب الإبـــاضيون حيـــث كـــان جل همهم الاشتغال بالعلم وخدمة الإسلام علمـــا وعمـــلا . وأكـــبر دليل على ذلك أن شيخهم الأكبر جـــابر بـــن زيـــد هـــو أول مـــن اشتغل بتدوين الحديث الشـــريف ، وقـــد تتلمـــذ علـــى كثـــير مـــن الصحابة مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بـــن عمـــر وأنـــس بـــن مالك ، وتتلمذ عليه من مشايخ الإباضية مســـلم بـــن أبـــى كريمـــة والمعروف بأبى عبيـــدة ، والـــذى "تولـــى التدريـــس بعـــد الإمـــام جابر فأخذ عنه العلـــم خلـــق كثـــير . . . وأصـــل رســـالته فـــى

الدعوة إلى الله والتمسك بدينه والعمل بشريعته ، وكان حر الفكرة ينشر المبادئ الإسلامية الصحيحة في كرامة المسلم ، وعدم قبوله للامتهان"[1] . كما تتلمذ عليه الربيع بن حبيب الفراهيدى والذى تخرج على يديه الكثير من علماء عمان وخراسان وحضرموت ، وهو صاحب أقدم كتب الحديث المسمى بالجامع الصحيح أو سند الربيع بن حبيب .

والإباضيون "لم يقوموا بأى عمل من أعمال العنف طوال تاريخهم في غير حالات الدفاع ، وحتى عندما استطاعوا أن يغيروا بعض أنظمة الحكم فإنما قام عملهم على الدعوة والإقناع ، وتم لهم ما أرادوا دون أن يجردوا سيفا أو يزهقوا روحا"[2] .

وهم لا يكفرون مخالفيهم من أهل التوحيد ، ويجيزون المناكحة معهم والتوارث بين الجميع ، ويذهبون إلى حرمة دماء وأموال كل الموحدين .

ويفرقون بين الكبائر بتقسيمها إلى قسمين ، كبائر الشرك ؛ "وهى كل كبيرة أخلت بالاعتقاد كاستحلال ما حرم الله أو تحريم ما أحله الله أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة أو جحود حكم قطعى كالرجم . . . وكبائر النفاق وهى كبائر الكفر بنعمة الله – وهى ما يطلق عليه عند أهل الحديث كفر دون كفر – وذلك كارتكاب فاحشة مثل الزنا أو شهادة الزور أو عقوق الوالدين ، وكترك فريضة من فرائض الله غير مستحل كل ذلك ، يسمى عند أصحابنا بكبائر النفاق"[3] .

---

[1] الإباضية فى موكب التاريخ ، ص ١٥٣ ، مرجع سابق

[2] مكانة الإباضية فى الحضارة الإسلامية ، ص ٦٤

[3] مكانة الإباضية فى الحضارة الإسلامية ، ص ٦٤ ، مرجع سابق

وهم يجوزون فقط الخروج على الإمام الجائر إذا جار ولم يستجب للنصح بشرط ألا يؤدى الخروج إلى ضرر محقق يلحق بجماعة المسلمين .

أما من يقول بأنهم من الخوارج فيؤكد دعواه باتفاق الإباضية مع الخوارج فى معاداة عثمان وعلى رضى الله عنهما ، وتصويبهم لخروج أهل النهروان على الإمام على والدفاع عنهم والقول بأنهم "لم يخرجوا على البيعة ، ولكنهم حين أبوا التحكيم وأصروا عليه جنح أبو الحسن إلى فريق التحكيم فرأى منكرو التحكيم أن البيعة لم تكن فى أعناقهم بل هم فى حل منها ، حيث أن التحكيم فى شئ معناه غير ثابت الحكم ، وإلا فلم التحكيم ؟ فاعتبروا التحكيم تنازلا من الإمام أبى الحسن عن البيعة ، إذا منكرو التحكيم فى حل من أمرهم فلهم الحق فى أن يختاروا من يشاءون إماما لهم فاختاروا رجلا من أفضل الناس وهو عبد الله بن وهب الراسبى الأزدى . . . فرأى على بن أبى طالب أن البيعة حصلت لأزدى لا لقريشى ، وحاربهم قبل أن يتقوى أمرهم فتخرج الإمامة لغير قريش ، وهذا هو السبب الوحيد لواقعة النهروان"

وكذا قولهم بأن الإمامة لا تختص بقريش دون غيرهم بل هى صحيحة لكل من اختاره المسلمون ، فإمام الإباضية جابر بن زيد "كان يرى أن الخلافة أهم مرافق الدولة وأعظم مظهر للأمة . . . وهى بهذا الوصف لا يمكن أن تخضع لنظام وراثى ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون ، وإنما يجب أن يشترط فيها الكفاءة الدينية والخلقية والعملية ، فإذا تساوت هذه الكفاءات فى مجموعة من الناس أمكن أن تجعل الهاشمية أو القرشية من أسباب المفاضلة"[1] .

---

[1] الإباضية فى موكب التاريخ ، ص ٦٣ ، مرجع سابق

فالإباضية إذا يتبرءون من النسبة إلى الخوارج مع اعترافهم بأنهم يشتركون معهم في بعض الأمور ، فلماذا إذا يصرون على البراءة من هذه النسبة ؟ ولماذا يصر غيرهم على إدخالهم مع الخوارج فى دائرة واحدة ؟

الواقع أن تحرير محل النزاع هنا هو الذى يعطى الإجابة ، ومحل النزاع هم من الخوارج أم ليسوا من الخوارج وأحسب أن تعريف الخوارج عند كل طرف هو الذى يحدد الموقف . فالإباضيون يحصرون الخوارج فى الذين خرجوا على الدين ، مثل المرتدين ، وأولئك الذين غيروا فى الدين باتهام المسلمين بالشرك واستحلال دمائهم ونسائهم وأموالهم وسبى أطفالهم ، هم الذين ينكرون الثابت القطعى من أحكام أو يعملون بما يخالف المقطوع به من نصوص أحكام الإسلام .

ونرى أن تعريف الإباضية للخوارج ينطبق على الكافرين كفر ملة بالدين والرافضين لأحكامه . أما التعريف الصحيح للخوارج فهم أولئك الذين يخرجون على الإمام الحق الذى أجمعت الأمة على إمامته . وباعتبار الماضى البعيد هم الذين خرجوا على إمامة على بعد المبايعة له ونقدوه ورفضوا التحكيم وحاربوه . يقول الشهرستانى "كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم"[1] .

ومن خلال التعريفين السابقين للخوارج يتبين لنا أولا لماذا يصر الإباضيون على أنهم ليسوا خوارج . فهم على حق فى إصرارهم بأنهم ليسوا خوارج بناء على تعريفهم للخوارج ، إذ أنهم ملتزمون بأوامر الله ومبتعدون عن نواهيه لا

[1] الملل والنحل ج ١ ، ص ١١٤

يغـــيرون فـــى الديـــن ، ولا يســـتحلون دمـــاء الموحديـــــــن ، ولا ينكرون الثابت القطعـــــى مـــن أحكـــام الله . وهـــم فقـــط كغـــيرهم يخطئون فى بعض تأويلاتـــهم ، ويتجـــرءون فـــى التحـــامل علـــى بعض الصحابة الأطـــهار .

ويتبين لنا ثانيا لماذا يصر غـــيرهم علـــى اعتبـــارهم مـــن الخـــوارج ، لأن تعريـــف هـــذا الغـــير للخـــوارج ينطبـــق علـــى الإباضيـــة مثلمـــا ينطبـــق علـــى المحكمـــة الأولـــى والنجـــــدات والصفرية والعجاردة وغيرهم ، والجميع مــــن الخـــوارج .

٥

مناقشة لبعض أقوالها

لاحظنا أن فرقة الإباضية لجأت كما لجأ المعتزلة إلى التأويل في قضيتى الصراط والميزان في الآخرة . ونرى أن اللجوء للتأويل لا يكون إلا للضرورة ؛ كأن يترتب على عدمه لحوق التجسيم أو التشبيه بذاته تعالى ، أو الوقوع في تناقض مع القرآن الكريم أو الحديث الصحيح ، أو ما أجمعت عليه الأمة ، أو استقر بين جميع العقلاء .

أ. ولو نظرنا إلى أمر الصراط وكونه جسرا ممدودا على متن جهنم ، وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، وأن البشر في الآخرة سيمرون عليه ، وأن المؤمن سيمكن من عبوره ليدخل الجنة ، أما الكافر فيخر ساقطا في جهنم لوجدنا أنه من الأمور الممكنة التي يجيزها العقل ولا يترتب عليها أي مستحيل . ويؤكد أمر إمكان الصراط بل وإخراجه من الإمكان العقلي إلى الوقوع الفعلي النصوص الصريحة ، منها قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) يس - ٦١ ، فالاستباق يكون على الجسر الممدود والذي يرى بالعيون ، والطمس يكون لها حتى لا ترى إذا شاء سبحانه وتعالى ذلك . ويقول سبحانه (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) الصافات - ٢٣ . وفي حديث صحيح يرويه الإمام مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلم سلم) .

وإذا كان الإباضيون يقولون بأن "الصراط ليس طريقا حسيا فوق جهنم وإنما هو طريق الإسلام ودين الله الذى ارتضاه لعباده"[1] ، ويقول بالقريب من هذا المعتزلة ، حيث يحكى القاضى عبد الجبار عن كثير من شيوخ المعتزلة قولهم "إن الصراط إنما هو الأدلة على الطاعات التى من تمسك بها نجا . . . . والأدلة على المعاصى التى من ركبها هلك"[2] ، فإنهم يلجأون للتأويل الذى لا ضرورة له . والذى يدفعهم لهذا استبعادهم العقلى لقدرة الإنسان على المشى على جسر بهذه الصورة . ولو تعقلوا الأمر لعلموا أن كل شئ واقع تحت قدرة الله سبحانه وتعالى ، الإنسان والصراط والاستطاعة والجنة والنار إلى آخره ، وما كان كذلك فهو ممكن وليس بمستحيل ، يقول سعد الدين التفتازانى "إن إمكان العبور ظاهر كالمشى على الماء أو الطيران فى الهواء ، غايته مخالفة العادة . ثم الله تعالى يسهل الطريق على من أراد ، كما جاء فى الحديث أن منهم من هو كالبرق الخاطف ومنهم من هو كالريح الهابة ومنهم من هو كالجراد ، ومنهم من تخور رجلاه وتتعلق يداه ومنهم من يخر على وجهه"[3] .

ب. والميزان فى الآخرة بالصورة التى يقول بها الكثير من علماء المسلمين (كفتان ولسان يوزن به أعمال الخلق) من الأمور الممكنة عقلا والتى لا يترتب عليها أى مستحيل وبالتالى لا تحتاج إلى تأويل . وقد ورد النص القرآنى فى شأن الميزان حيث يقول سبحانه ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا

---

[1] الإباضية دراسة مركزة ، ص ٥٠
[2] الأصول الخمسة ، ص ٧٣٨
[3] شرح المقاصد ، ج ٥ ، ص ١٢٠

بها وكفى بنا حاسبين﴾ الأنبياء ٤٧ ، ويقول سبحانه ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ۞ وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾ القارعة - ٦-٩ . ويذكر البيهقى حديثا شريفا يشتمل على الميزان والصراط وتناول الإنسان لكتابه يوم القيامة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت: تذكرت النار فبكيت فقال رسول الله عليه السلام ما يبكيك ؟ قلت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (أما فى مواطن ثلاثة فلا يذكر أحد أحدا ، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند الكتاب حتى يقال ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ حتى يعلم أين يقع كتابه ؛ أ فى يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرانى جهنم)[1] .

ولا يرد على هذا الكلام أن الأعمال أعراض ، وإذا انعدمت لا ترجع ، وإذا رجعت لا توزن لأنها لا توصف بالثقل أو الخفة ، كما لا يرد على هذا أن الله سبحانه يعلم كل شئ فلم الوزن ؟ لأن الرد ببساطة أن الكل واقع تحت قدرة الله سبحانه وتعالى "فما الذى يمنع قدرته الشاملة من إعادة الأعراض ؟ وما الذى يمنع من جعل الأعراض أجساما نورانية كتعبير عن الأعمال الطيبة وأجساما مظلمة كتعبير عن الأعمال السيئة ؟ وما الذى يمنع أن يكون الموزون فى الحقيقة هو صحف الأعمال بعد أن يخلق الله سبحانه وتعالى فيها ثقلا خاصا بقدر الحسنات أو السيئات"[2] . ثم إنه سبحانه

[1] الاعتقاد ، ص ١٠١
[2] نظرات فى العقيدة ، د . محمد الأنور

وتعالى ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ الأنبياء - ٢٣ ، فلا داعي للمماحكة ولا بد من التسليم .

ج. وقول الخوارج بأن الإيمان يتكون من ثلاثة أركان رئيسية هى التصديق والإقرار والعمل فمن أسقط ركنا فهو كافر، قول يعوزه الدليل القوى . والصحيح أن الإيمان هو التصديق القلبى الجازم ومحله القلب ، يقول سبحانه ﴿أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان﴾ المجادلة - ٢٢، ويقول سبحانه ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ النحل - ١٠٦ ، ويقول سبحانه ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ المائدة - ٤١ . ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم ثبت قلبى على دينك) ، وفى الحديث الشريف الذى يرويه البخارى ومسلم وفيه يقول الرسول (يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من خردل من الإيمان .

وقد عرف العرب من لغتهم أن الإيمان يعنى التصديق بالقلب بأمور مخصوصة حددها الرسول صلى الله عليه وسلم فى إجابته على جبريل عليه السلام حينما سأله عن الإيمان فقال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) أى تصدق بالله . . . الخ . ويؤكد أن الإيمان هو التصديق القلبى دون العمل عطف القرآن الكريم للأعمال على الإيمان ، يقول سبحانه ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الكهف - ١٠٧ ، ويقول سبحانه ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وذلك هو الفوز العظيم﴾ التغابن - ٩ ،

ولا شك أن العطـــف يقتضـــى المغــايرة بيـــن المعطـــوف وهـــو الأعمال والمعطوف عليه وهـــو الإيمـــان .

وقد أثبت القـــرآن الكريـــم للمؤمنيـــن اســـم الإيمـــان مـــع تركهم لبعض الطاعات وعملـــهم لبعـــض المعـــاصى ، فلـــو كـــان العمل ركنا من الإيمان لمـــا أثبـــت القـــرآن ذلـــك يقـــول ســـبحانه وتعالى ﴿وإن طائفتان مـــن المؤمنيـــن اقتتلـــوا فـــأصلحوا بينـــهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التـــى تبغـــى﴾ الحجـــرات - ٩ ، والبغى كبيرة ومع حصولها مـــن إحـــدى الفئتيـــن لـــم ينتـــف عنها الإيمـــان .

والمؤمنـــون يؤمـــرون ببعـــض الأعمـــال وينـــهون عـــن بعضها الآخر وهذا يعنى أن الإيمان ثـــابت لـــهم أولا بـــلا عمـــل يقول سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيـــام كمـــا كتـــب على الذين من قبلكم﴾ البقرة -١٨٣ ، ويقـــول ســـبحانه ﴿يـــا أيـــها الذين آمنوا لا يســـخر قـــوم مـــن قـــوم عســـى أن يكونـــوا خـــيرا منهم﴾ الحجـــرات - ١١ .

ويدل أيضا علـــى أن الأعمـــال غـــير داخلـــة فـــى حقيقـــة الإيمان أنه - أى الإيمان - "لـــو كـــان اســـما للطاعـــات فإمـــا أن يكون اسما لجميع الطاعات فيلزم انتفـــاء الإيمـــان بانتفـــاء بعـــض الأعمال ، وحينئذ لا يكون من صدق بقلبـــه وأقـــر بلســـانه مؤمنـــا حتى يأتى بجميع الطاعـــات ، لكـــن هـــذا خـــلاف الإجمـــاع ، لأن الإجماع منعقد على أن من صدق وأقر فأدركـــه المـــوت قبـــل أداء العبادات مات مؤمنا . وإما أن يكـــون اســـما لكـــل طاعـــة علـــى

حدة فتكون كل طاعة إيمانا علـــى حــدة ، ويكــون المتنقــل مــن طاعة إلى طاعة متنقلا من دين إلى دين وهـــو البطــلان"[1].

إضافة بسـيطة

رأينـــا فيمـــا ســبق أن الإيمـــان عنــد الخــوارج ومنـــهم الإباضية يتكون من ثلاثـــة أركـــان رئيســـية ؛ التصديـــق بـــالقلب والإقرار باللسان والعمــل بالأركـــان ، ويمثـــل هـــذا القـــول قـــال المعتزلة والمحدثون وبعـــض الأئمـــة كالإمـــام مـــالك والشـــافعى والأوزاعى وبعض المتكلميـــن .

ويجب أن نلاحظ ما يلـــى :

١. أن من ترك العمل – على مذهب الخـــوارج ومنـــهم الإباضيـــة – فهو كافر مخلد فى النـــار .
٢. ومن تركه عند المعتزلة يخرج من الإيمـــان إلا أنـــه لا يدخـــل الكفر فهو فى منزلة بين المـــنزلتين
٣. أمـــا المحدثـــون ومـــالك والشـــافعى والأوزاعـــى وبعـــض المتكلمين فإنهم يقولون إن انعدام التصديق يـــؤدى إلـــى انعـــدام الإيمان المنجى من الخلود فى النـــار فـــى الآخـــرة ، والإقـــرار لازم لإجراء الأحكام الدنيوية مثل الـــزواج والتـــوارث والدفـــن فى مقابر المسلمين . . الخ . أما العمل فـــلازم لكمـــال الإيمـــان ولا يترتب على تركه الخـــروج عـــن الإيمـــان أو الخلـــود فـــى النار .
٤. يذهب الإمام أبـــو حنيفـــة إلـــى أن الإيمـــان تصديـــق بـــالقلب وإقرار باللسان . وانعدام التصديق يؤدى حتما إلـــى الكفـــر ، أمـــا

[1] د . محيى الدين الصافى ، النبوات والسمعيات ، ص ١٢٠ ، ط ٢ (١٩٨٢) ، دار الطباعة المحمدية

الإقرار باللسان فركن يمكن سقوطه وخاصة مع المكره يقول سعد الدين التفتازانى "قد يجعل تارك العمل خارجا عن الإيمان داخلا فى الكفر ، وإليه ذهب الخوارج . أو غير داخل فيه وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وإليه ذهبت المعتزلة . . . وقد لا يجعل تارك العمل خارجا عن الإيمان بل يقطع بدخوله الجنة وعدم خلوده فى النار ، وهو مذهب أكثر السلف وجميع أئمة الحديث وكثير من المتكلمين والمحكى عن مالك والشافعى والأوزاعى"[1] .

د. وشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم كما تكون لزيادة الدرجات لبعض المؤمنين ، فإنها تكون أيضا لأهل الكبائر من أمته ، فهم أولى بها من غيرهم حيث يدخلون بسببها الجنة ويخرجون من النار أو يمنعون من دخولها ، والعقل لا يمنع ذلك . إن الكريم حقا فى دنيانا هو الذى إذا وعد ينفذ وعده وإذا توعد يغلب الرحمة على العدل من أجل الخير للناس . والله سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين ، رحيم بعباده غافر الذنب وقابل التوب ، وسعت رحمته كل شئ ، مالك الكل والمتصرف فى الكل . وهو عز وجل القائل ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، وتدخل الذنوب جميعها دون الشرك فى دائرة لمن يشاء المغفرة لهم . ويقول سبحانه ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ الزمر – ٥٣ .

---

[1] شرح المقاصد ، ج ٥ ، ص ١٧٩

وبالقطع من المسرفين على أنفسهم أولئك الذين ارتكبوا الكبائر ولم يتوبوا منها وهم داخلون تحت رحمة الله ومن رحمته قبول شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . والرسول هو أفضل الرسل وخاتم الأنبياء والمبعوث رحمة للعالمين ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ، ويقول فى حقه تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ التوبة – ١٢٨ . ومن الحرص على المؤمنين الملوثين بالكبيرة الشفاعة لهم ، يقول صلى الله عليه وسلم (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى)[1] ، وإنكار قوله عليه السلام تكذيبا له والكذب عليه محال فما أدى إلى المحال فهو محال .

وأهل السنة حينما يجوزون شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته يقولون أن الشفاعة تكون إما قبل دخول النار ، وإما بعد دخولها حتى يخرجوا منها . يقول ابن تيمية "وأما الشفاعة يوم القيامة فمذهب أهل السنة والجماعة . . . أن له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة ، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر ، ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنين ، دون أهل الشرك . . . . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة أنه قال : قلت يا رسول الله أى الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة فقال (أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) وعنه فى صحيح مسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل

[1] ذكره الترمذى فى جامعه الصحيح تحت رقم ٢٤٣٥ ، ج ٤ ، عن أنس وقال حديث حسن صحيح ، وذكره ابن ماجة فى سننه ، ج ٢ ، حديث رقم ٤٣١٠ ، عن جابر ونصه (إن شفاعتى يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتى)

نبى دعوته ، و إنى اختبأت دعوتـــى شـفاعة يـوم القيامـة فـهى نائلة إن شاء الله لكل من مات من أمتى لا يشـرك بـالله شـيئا)"[1]

الممنوع من الشفاعة لـــه بنـص القـرآن الكريـم والسـنة المطهرة هو المشرك بالله ، أما من عداه مـن مرتكـب الصغـائر والكبائر من الموحدين المؤمنين فبإذن الله سـبحانه وتعـالى تقبـل شفاعة الرسول صلى الله عليه وسـلم لـهم . والقـول بغـير ذلـك اجتهاد مرفوض لأنه يتناقض مع صريـح مـا جـاء فـى القـرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليـه وسـلم .

ونختم المناقشة الموجزة لهذه النقطـة بذكـر هـذا الحديـث الشريف الذى يذكره ابن ماجه في سـننه تحـت رقـم ٤٣١١ عـن أبى موسى الأشـعرى قـال : قـال رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم (خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصـف أمتـى الجنـة ، فاخترت الشفاعة لأنـها أعـم وأكفـى . أترونـها للمتقيـن ؟ لا ، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثيـن)[2] .

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١ ، ص ١٥٣ ط المساحة العسكرية بالقاهرة ١٤٠٤هـ

[2] سنن ابن ماجة ، ج ٢ ، ص ١٤٤١ مع تعليق فى الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات

البحث التاسع

النجـــــــدات

١

النشأة والانتماء

هم فى الأصل خوارج اليمامة ، وينتسبون إلى نجدة بن عامر الحنفى ، وقد كثر عددهم بانتماء بعض الأزارقة إليهم . فحينما تبرأ نافع بن الأزرق من القعدة وحكم بشركهم، واستحل قتل أطفال ونساء المخالفين له ، أوغرت آراؤه هذه صدور بعض أتباعه ، وسارع بالخروج عن رياسته عطية بن الأسود الحنفى وراشد الطويل وأيوب الأزرق وأبو فديك وغيرهم ، وذهبوا إلى اليمامة وهناك التقوا بنجدة وأتباعه ، الذين كانوا متأهبين للالتحاق بعسكر نافع ، وأخبروا نجدة بما أحدثه نافع من أقوال لم يرتضوها وفى اليمامة انضموا للنجدات وبايعوا نجدة بن عامر أميرا لهم .

ويذكر الشهرستانى أن هناك قولا بأن نجدة بن عامر ونافع بن الأزرق مع الخوارج التقيا فى مكة على قتال عبد الله بن الزبير، ثم اختلفا بعد ذلك ، وكان سبب الاختلاف تكفير نافع للقعدة عن القتال وقوله بعدم جواز التقية ، بينما يذهب نجدة إلى عدم التكفير ويقول بجواز التقية . وقد دفعهما الاختلاف إلى الافتراق حيث التحق نافع وجيشه بالبصرة وذهب نجدة إلى اليمامة[١] .

---

[١] انظر الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٣٢

ويستشف من الكلام السابق أن المكان الرئيسى الذى يتواجد فيه الأزارقة والذى انطلقوا منه لحرب عبد الله بن الزبير هو البصرة ، واليمامة هى منطلق النجدات وإليها عاد عامر وأتباعه . كما يستشف منه أن خلافا فى الرأى هو السبب فى ذهاب كل واحد منهما إلى ما ذهب إليه .

وقد استند نافع فى قوله بعدم جواز التقية إلى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ النساء – ٧٧ ، فالتقية فى رأيه مرفوضة لأنها تعنى الخوف من الناس أكثر من الخوف من الله سبحانه وهذا يؤدى إلى الشرك .

أما تكفيره للقعدة عن القتال فيستند فيه إلى قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ المائدة – ٥٤ ، فالمؤمنون أذلة على أنفسهم أعزة على الكفار لا يخافونهم ولا يقعدون عن قتالهم بل دوما يجاهدون فى سبيل الله .

أما نجدة بن عامر فقد استدل على جواز التقية بقوله تعالى ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ آل عمران – ٢٨، وبقوله سبحانه ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ فالقرآن يقول ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ وهذا معناه

جواز التقية ، والرجل المؤمن يخفى إيمانه وهـــذا معنـــاه جـــواز التقية ، فهو لم يفعل ما فعل إلا حفاظا على نفســـه ودينـــه .

ونرى أن التقية جائزة فـــى القـــول والعمـــل مـــع أعـــداء الإسلام ، وبخاصة إذا كانوا فـــى حالـــة قـــوة ومنعـــة ، وكـــان الضرر الذى يقع منهم على المســـلمين لا يحتمـــل ويـــؤدى إلـــى الهلاك المحتـــم وإضعـــاف الأمـــة الإســـلامية فـــالمؤمن كيـــس فطن، والقرآن يقول ﴿إلا من أكره وقلبـــه مطمئـــن بالإيمـــان﴾ ، والرســـول يقـــول (رفـــع عـــن أمتـــى الخطـــأ والنســـيان ومـــا استكرهوا عليه) . ويشترط لجواز التقية أن تكـــون النيـــة مبيتـــة على تدارك الضعف ، والعمل على تقوية الأمـــة بكـــل الوســـائل من أجل رفع كلمـــة لا إلـــه إلا الله محمـــد رســـول الله . وليـــس من حصافة العقل إلقاء النفـــس فـــى التهلكـــة والقـــرآن واضـــح الدلالة حينما يقول ﴿ولا تلقوا بـــأيديكم إلـــى التهلكـــة﴾ ، ومـــن التهلكة أن نكون فى حالـــة ضعـــف وفرقـــة ولا نعمـــل علـــى إزالة الضعف وتوحيـــد الأمـــة ونصـــر علـــى إظـــهار العـــداوة لأعدائنا وإلى دفعهم لقتالنا دون أن نعـــد العـــدة ونتحـــرك وفقـــا لقوله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما اســـتطعتم مـــن قـــوة ومـــن ربـــاط الخيل ترهبون به عـــدو الله وعدوكـــم وآخريـــن مـــن دونـــهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا مـــن شـــئ فـــى ســـبيل الله يـــوف إليكم وأنتم لا تظلمـــون﴾ الأنفـــال - ٦٠ .

والجهاد حق وهو فرض عين على كـــل مســـلم ومســـلمة إذا هددت ديار المسلمين ، وروع النســـاء والأطفـــال والعجـــزة، ورأى الحاكم المســـلم ضـــرورة الخـــروج لأن أعـــداء الإســـلام رفعوا السلاح بـــغية القضـــاء علـــى الإســـلام . يقـــول ســـبحانه

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الحج - ٣٩ ، ويقول ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونك ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ البقرة - ١٩٠ .
ولا يعنى كون الجهاد فرض عين تكفير القاعد عن حمل السلاح مع قدرته على حمله فالتكفير لا يكون إلا برفض فرضيته وإنكار مشروعيته والإصرار على جحده والتهوين من شأنه . أما من شارك فى الجهاد - دون الخروج - بأى وسيلة من الوسائل فلا ضرر عليه ، يقول صلى الله عليه وسلم (من جهز غازيا فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا)[١] .

يقول نجدة بن عامر "القعود جائز والجهاد إذا أمكنه أفضل لقول الله تعالى ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما﴾ النساء - ٩٥"[٢] . فالتفضيل لا يمنع من جواز القعود ولا يؤدى إلى تكفير القاعد .

الانشقاق وأسبابه

وكعادة الخوارج فى المسارعة إلى التكفير ، كفر المنضمون إلى نجدة نافعا وأتباعه ، وكفروا كل من قال بكفر القعدة منهم . وكعادتهم أيضا فى اللجوء إلى الانشقاق مع أى بادرة اختلاف فى الرأى ، انشق الملتفون حول نجدة عليه إلى ثلاث جماعات : جماعة العطوية أصحاب عطية

---

١ رواه البخارى ومسلم
٢ الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٢٥

بن الأسود ، وجماعة أبى فديك والذين حاربوا فيمـــا بعـد نجـدة وقتلوه ، وجماعة ثالثة بقيت على إمامته وعـذروه فيمـا أحدثـه.

وتعتبر بعض تصرفـــات نجـدة بـن عـامر مـن أهـم عوامل الانشقاق بيـن النجـدات ، كمـا تعتـبر الخلافـات فـى الرأى مـن أهـم أسـباب الانشـقاق والعـداوة بيـن حركـات الخوارج ، والتى أدت فيمـا بعـد إلـى كسـر شـوكتهم ، بـل والقضاء على أهم فرقتيـن وهـم الأزارقـة والنجـدات . "لقـد انقسم النجدات على أنفسـهم كمـا انقسـم الأزارقـة ، فخـالف عطية بن الأسود نجدة بن عامر الحنفى وانفصـل عنـه وغـادر البحرين إلى المشرق، وازداد الأمر سوءا بخـروج أبـى فديـك عبد الله بن ثور على نجدة وقتله وتفـرق النجـدات لذلـك إلـى ثلاث شيع متنـاحرة ممـا أدى فـى النهايـة إلـى اضمحلالـهم وزوال دولتهم فـى البحريـن وحضرمـوت والطـائف واليمـن سنة ٧٢هـ"[١] .

وكان من أهم أسباب الانقسام بين النجـدات أنـهم نقمـوا على نجدة أمورا ؛ منـها تفضيلـه فـى الـرزق والعطايـا مـن بعثهم من الجيش فـى البر على من بعثهم فـى البحـر ؛ ومنـها أن الجيش الذى بعثه إلـى المدينة المنورة أصـاب جاريـة مـن بنات عثمان بن عفان ، ولما كتب إليه عبـد الملـك بـن مـروان فى شأنها اشتراها نجدة ممن كانت فى يـده وردهـا إلـى عبـد الملك ، "فقالوا له إنك رددت جارية لنا علـى عدونـا" ؛

[١] د . محمود إسماعيل عبد الرازق ، الخوارج فى بلاد المغرب ص ٢٧ ط ١٩٨٥ دار الثقافة ، الدار البيضاء .

ومنها عذره لأهل الخطأ في الاجتهاد بالجهالات[1] ، وكان السبب في ذلك أنه بعث جيشا بقيادة ابنه إلى أهل القطيف "فقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم وقوموها على أنفسهم وقالوا : إن صارت قيمتهن في حصصنا فذاك وإلا رددنا الفضل ونكحوهن قبل القسمة وأكلوا من الغنيمة قبل القسمة ، فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك قال : لم يسعكم ما فعلتم ، قالوا : لم نعلم أن ذلك لا يسعنا ، فعذرهم بجهالتهم"[2]

من أهم أفكار ومعتقدات نجدة بن عامر

١. جواز التقية في القول والعمل .
٢. جواز القعود عن القتال ولا يحكم بكفر القاعد .
٣. القول بأن الدين أمران ؛ الأول ، ويشمل معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة رسله عليهم السلام ، وتحريم دماء المسلمين ، و تحريم غصب أموالهم ، والإقرار بما جاء من عند الله جملة ، ومن الواجب على كل مكلف معرفة ذلك . الثاني ، من استحل شيئا باجتهاده مما سوى ما سبق فهو معذور ، ومن جوز العذاب على المجتهد المخطئ قبل قيام الحجة عليه فهو كافر .
٤. الرجاء لأصحاب الحدود من موافقيه أن لا يعذبهم الله في نار جهنم ، وإن عذبهم ففي غير النار .
٥. كل مخالف له في دينه يدخل النار .

---

[1] راجع الفرق بين الفرق ، ص ٦٧
[2] الملل والنحل ، ج ١، ص ١٢٣

٦. إسقاطه لحد الخمر مع تنفيره من شربها ، إلا إن الشهرستانى يذهب إلى أن نجدة "غلظ على الناس فى حد الخمر تغليظا شديدا"[١] . ونحسب أن قول الشهرستانى هو الصحيح ؛ لأن المسلم بطبعه ينفر منها ، ويعلم أنها مغيبة للعقل مفسدة للمعدة ، وقد ورد فى القرآن الكريم بصريح اللفظ أنها رجس من عمل الشيطان ، يقول سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ ، المائدة – ٩٠
ولما كانت بعض أفكار نجدة بعيدة عن الغلو والتطرف فإننا نحسب أن من هذه الأفكار عدم إسقاطه لحد الخمر ، وأكثر من هذا التغليظ على الناس حتى لا يشربوها .
٧. القول بأن أصحاب الصغائر الذين يصرون عليها مشركون أما أصحاب الكبائر غير المصرين عليها ممن هم على دينه مسلمون[٢] .
وأحسب أنه فى حكمه على صاحب الصغيرة المصر عليها بالشرك مغال فى حكمه ، لأن صاحب الصغيرة معه الإيمان الحق الذى هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، ومعه ، على رأى الخوارج ، مع التصديق الإقرار باللسان والعمل بالأركان ، ومن جمع بين هذه الأمور لا يكون مشركا أبدا لأن الشرك يتغاير تماما مع من جمع بين هذه الأمور . والمسمى الصحيح لمرتكب الصغيرة المصر عليها أنه مسرف على نفسه ، وكل مسرف

---

[١] الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٢٤
[٢] راجع النقاط السابقة فى الفرق بين الفرق ، ص ٦٨

على نفسه واقع تحت رحمة الله الغفور الرحيم يقول سبحانه ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ الزمر - ٥٣ ، ويقول عز وجل ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ النساء - ٤٨ .

٨. يستحل نجدة دماء وأموال أهل العهد والذمة فى حال التقية ويحكم بالبراءة ممن حرمها .

٩. ويقول النجدات إنه لا حاجة للإمام إذا تناصف الناس فيما بينهم، فإن هم رأوا أن التناصف وتحقيق العدل لا يتم إلا عن طريق إقامة إمام عليهم جاز لهم ذلك .

يقول الشهرستانى "واستحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمة وأموالهم فى حال التقية ، وحكم بالبراءة ممن حرمها. قال : وأصحاب الحدود من موافقيه لعل الله تعالى يعفو عنهم، وإن عذبهم ففى غير النار ثم يدخلهم الجنة . . . قال : ومن نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك . ومن زنا وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك ، وغلظ على الناس فى الخمر تغليظا شديدا . . . وأجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم ، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز"[1].

[1] الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٢٤

لا حاجة للناس إلى إمام إذا تناصفوا

وقول النجدات بأنه لا حاجة للناس إلى إمام إذا تناصفوا فيما بينهم من الأقوال المستحيلة التطبيق ، يشهد بذلك عصر المبعث ، فمع تناصف الصحابة فيما بينهم ومعرفة كل واحد لما عليه من واجبات وماله من حقوق لم يغنهم هذا عن الرجوع فى الكثير من أمورهم إلى الإمام وهو هنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولأهمية الإمامة ووجوبها حرص المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقيموها قبل أن يتم دفنه صلى الله عليه وسلم ، وتمت البيعة لأبى بكر الصديق ، وقام الصديق فى مرض موته بتحديد عمر بن الخطاب ليكون إماما بعده لثقته فيه وعلم بأنه أصلح من يقوم بأمور الأمة. وقام عمر بن الخطاب لما أحس بدنو أجله من جراء اعتداء ابن جرموز عليه بتحديد ستة من خيرة الصحابة وناشد الناس أن يختاروا بعد موته الإمام من هؤلاء النفر الأطهار . فاختاروا عثمان بن عفان ، وبعد استشهاده سارع المسلمون بالبيعة لعلى ابن أبى طالب .

ولا شك أن الأجيال التى عاشت وتتابعت مع الصديق فعمر فعثمان فعلى رضى الله عنهم جميعا هى من خير القرون وفيهم قال الرسول (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1]، فهل عجز هذا الجيل الطاهر عن التناصف ولهذا لجأ إلى الإمامة ؟ أم أنهم علموا أن التناصف

---

[1] ذكره مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود باب فضل الصحابة . وفى مسلم أيضا عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ، ج ٢ ، ص ٤١١

الكامل متعذر بين البشـــر ولـــهذا اختـــاروا الطريـــق الصحيـــح الذى يؤدى إلى صالح الفرد والجماعـــــة والأمـــة وهـــو اختيـــار الإمـــلم ؟

إن الإنسان حيوان اجتمـــاعى لا يســـتطيع أن يعيـــش فـــى عزلة عن الجماعـــــة ، ولـــه مطالبـــه مـــن المـــأكل والمشـــرب والملبس والمسكن والمنكـــــح والرعايـــة الصحيـــة ، وهـــو فـــى حاجة لحفظ نفسه ودينه وعقله وعرضـــــه ومالـــه ، ولا يســـتطيع وحده أن يحقق هذه الأمور ، بل لا بد من جماعـــــة تقـــوم بـــها ، وهو يقوم لها ببعض الأمور وهى تقوم بـــأمور أخـــرى ، ولـــهذا تعددت الحرف والصناعات ، وتداخلت المصـــــالح . يقـــول ابـــن سينا "إنه لا بد أن يكـــون الإنســـان مكفيـــا بـــآخر مـــن نوعـــه ، ويكون ذلك الآخر مكفيا به وبنظيره ، فيكـــون مثـــلا هـــذا ينقـــل إلى ذاك ، وذاك يخبز لـــهذا ، وهـــذا يخيـــط للآخـــر ، والآخـــر يتخذ الإبرة لهذا حتى إذا اجتمعوا كـــان أمرهـــم مكفيـــا ، ولـــهذا اضطروا إلى عقد المـــدن والاجتماعـــات"[1] .

لقد أوجب التعدد البشرى فـــى كـــل رقعـــة علـــى هـــذه الأرض المشاركة والتعاون ليأخذ الكل ويعطـــــى الكـــل ويعيـــش الكـــل . ولكن الإنسان يخضع للعديد مـــن الغرائـــز والتـــى مـــن أهمـــها غريزة حب التملك والغلبة والأثـــرة ، وهـــذه الغرائـــز يدورهـــا تدفع كل واحد إلى اعتبار ماله عند الآخـــــر حـــق وليـــس عليـــه للآخر أى واجب . وهنـــــا ينشـــأ الصـــراع وتحتـــدم الخلافـــات وتتفشى الكراهية ويندفع البعض إلـــى التقـــاتل .

ولتحقيق أمن الفرد والجماعـــة والأمـــة وإيجـــاد التعـــاون والتشارك المنشود وتحقيق العـــدل كـــان لا بـــد مـــن تشـــريعات

[1] النجاة لابن سينا ، القسم الثالث فى الإلهيات ، ص ٤٩٨

وقوانين تتصل بكل مناحى الحياة . وقــد تكفـل الديـن بوضـع الكثير منها وتقوم فى كل أمة المجالس النيابيــة بوضـع البعـض الآخر . وتعمـل الحكومـات علـى تنفيذهـا . وهـذه الحكومـة يرأسها إمام أو خليفة أو حاكم أو رئيس يوجـه الكـل إلـى مـا يصلح من شأن الرعية التى هو مؤتمـن عليـها ومسـئول عنـها ، وتكون المرجعية إليه فى كل الأمـور العظيمـة التـى تتصـل بالأمة أو الدولـة .

وهذه بعض واجبات الإمام تجاه الأمـة كمـا يراهـا أحـد أعلام الفكر الإسلامى ، والتى منها حفـظ الديـن علـى أصولـه المستقرة ومـا أجمـع عليـه السـلف ، وتنفيـذ الأحكـام بيـن المتخاصمين بغية تحقيق العدل وإزالـة الظلـم وحمايـة الوطـن من الفتن وإقـرار الأمـن ، وإقامـة الحـدود لصيانـة محـارم الأمة، وتحصين الثغور وحراستها مـن الأعـداء والجـهاد لكـل من يعادى الإسلام ، وتدبير مـوارد الدولـة ، وتقديـر العطايـا والاستحقاقات ، واختيـار الأكفـاء مـن العـاملين ، ومراجعـة تنفيذ الأوامر ومتابعة سير العمل فـى الدولـة[١] .

الإمامة إذا واجبة فى كل عصر وفـى كـل مصـر ، ولا يغنى عنها أبدا التناصف . عرفـت كـل الأمـم هـذا مـن آلاف السنين إلى يومنا . وإذا كنا بصدد الإمامة فى الإسـلام فـإن مـا يؤكد وجوبها بعض الأمور منـها "أولا إجمـاع الصحابـة حتـى جعلوا ذلك أهم الواجبات ، واشتغلوا بـه عـن دفـن الرسـول ، وكذا عند موت كل إمام وثانيا أن الشارع أمـر بإقامـة الحـدود وسد الثغور وتجهيز الجيـوش للجـهاد ، وكثـير مـن الأمـور المتعلقة بحفظ النظام وحمايـة بيضـة الإسـلام ممـا لا يتـم إلا

---

[١] راجع الأحكام السلطانية للماوردى ، ص ١٥

بالإمام ، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكـــان مقــدورا فـــهو واجـــب . وثالثـــا إن فـــي نصـــب الإمـــام اســـتجلاب منـــافع لا تحصى واستدفاع مضار لا تخفى، وكـــل مـــا هـــو كذلـــك فـــهو واجـب"[1]

[1] سعد الدين التفتازانى ، شرح المقاصد ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ ط أول ، عالم الكتب بيروت ١٩٨٩

أهم المراجع

م	الكتاب	المؤلف
١	الإباضية دراسة مركزة	على يحيى معمر ، ط وهبة ١٩٧٨
٢	الإباضية فى موكب التاريخ	على يحيى معمر ، ط وهبة ١٩٩٣
٣	أبكار الأفكار	الآمدى ، مخطوط
٤	الأصول الإيمانية	د . عبد الفتاح فؤاد ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠
٥	الأعلام	للزركلى ، دار العلم ، بيروت ١٩٨٦
٦	الاقتصاد فى الاعتقاد	للغزالى
٧	البداية والنهاية	لابن كثير ، دار الفكر العربى
٨	البعد الحضارى للعقيدة الإباضية	فرحات الجعبيرى
٩	بينات الحل الإسلامى	د . يوسف القرضاوى
١٠	تاريخ المذاهب الإسلامية	الشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى
١١	التبصير فى الدين	للأسفراينى ، ط ١٩٤٠ ت محمد زاهد الكوثرى
١٢	تفسير القرآن العظيم	ابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٠
١٣	التفسير الكبير	الفخر الرازى ، دار الفكر ١٩٨١
١٤	التفسير والمفسرون	د . محمد حسين الذهبى ، دار الكتب الحديثة ط ١٩٧٦
١٥	التنبيه والرد	لأبى الحسين الملطى م الأزهرية ١٩٩٣
١٦	الجامع لأحكام القرآن الكريم	القرطبى
١٧	جامع بيان العلم وفضله	لابن عبد البر
١٨	الخوارج فى بلاد المغرب	د . محمود إسماعيل ، دار الثقافة ، المغرب
١٩	دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية	بكير بن سعيد ، م وهبة ١٩٨٨

٢٠	شرح الأصول الخمسة	للقاضى عبد الجبار ، م وهبة ١٩٦٥
٢١	شرح الطحاوية	تحقيق د . عبد الله التركى ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨
٢٢	شرح المقاصد	سعد الدين التفتازانى ، تحقيق عبد الرحمن عميرة عالم الكتب بيروت
٢٣	شرح المواقف	للسيد الشريف الجرجانى
٢٤	الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف	د . يوسف القرضاوى ، كتاب الأمة قطر
٢٥	العواصم من القواصم	لأبى بكر بن العربى ، م السنة ١٤١٢هـ
٢٦	فجر الإسلام	أحمد أمين ، النهضة المصرية ط ١٩٧٨
٢٧	الفرق بين الفرق	عبد القاهر البغدادى ، دار الثقافة ، بيروت
٢٨	الفصل	ابن حزم ، م السلام العالمية بالقاهرة
٢٩	لسان العرب	ابن منظور
٣٠	مقالات الإسلاميين	أبو الحسن الأشعرى ، النهضة المصرية ، ١٩٦٩
٣١	مكانة الإباضية	د . محمد صالح ، ط الاستقامة ١٩٩٢
٣٢	الملل والنحل	الشهرستانى ، الحلبى القاهرة
٣٣	نظرات فى العقيدة الإسلامية	د. محمد الأنور ، ط ١٩٨١ ، المحمدية

الفهرس

للمؤلف

١.تبصرة الأدلة لأبى المعين النسفى الماتريدى ، رسالة مخطوطة بكلية أصول الدين	تحقيق ودراسة ١٩٧٧ بالاشتراك
٢.فى رياض العقيدة	بالاشتراك

٣.فى العقيدة الإسلامية والأخلاق
٤.نظرات فى العقيدة الإسلامية
٥.بحوث فى الفلسفة الإسلامية
٦.قضايا عقدية
٧.من أبعاد الغزو الفكرى
٨.فى التصوف الإسلامى
٩.نظرات فى المنطق الحديث ومناهج البحث
١٠.حول الأولياء والكرامات
١١.النصرانية : النشأة – التطور – أهم الكنائس
١٢.بحوث فى الفرق الإسلامية (الجزء الأول) : الشيعة – الجهمية
١٣.بحوث فى القرق الإسلامية (الجزء الثانى) : الخوارج

<u>تحت الطبع</u> :
١.بحوث فى الفرق الإسلامية (الجزء الثالث) : المرجئة والمعتزلة
٢.بحوث فى الفرق الإسلامية (الجزء الرابع) : الأشاعرة والماتريدية
٣.نظرات فى المنطق القديم
٤.موجز فى آداب البحث والمناظرة
الأسرة فى ظل الإسلام بدءا ونهاية

رقم الإيداع ٣٢٤٩ / ٩٨
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977 - 19 - 5445 - 8